بيان الحزب الشيوعي

كارل ماركس و فريدريك انجلز

جريدة المناضل-ة

بيان الحزب الشيوعي

إعداد إلكتروني : جريدة المناضل=ة
www.almounadila.info

بقلم: كارل ماركس،
فريدريك أنجلس

ترجمة العفيف الاخضر دار ابن خلدون الطبعة الاولى 1975- مع اسقاط جميع الحواشي التي اضافها المترجم

العناوين المضافة بالخط المائل،بمثابة تصميم يسهل فهم البيان ، مقتبسة من الطبعة التي أعدها فرانسوا شاتليه ضمن منشورات Pedagogie moderne -1981

المناضل-ة
Almounadil-a
جريدة عمالية-نسوية-شبيبية-أممية(Morocco)
تحرر الكادحين من صنع الكادحين أنفسهم

مقدمات البيان
أصل البيان
من مقدمة الطبعة الألمانية الأولى

رابطة الشيوعيين جمعية عمال أممية لم يكن بإمكانها في شروط ذلك الوقت، إلا أن تكون سرية، وفي المؤتمر المنعقد بلندن في نوفمبر 1847 كلفت الموقعين أدناه بكتابة برنامج مفصل للحزب، نظري وعملي، ومرصود للنشر. هذا هو أصل البيان [...]

رغم التغيرات الهائلة التي حدثت في الوضع خلال الخمس والعشرين عاما الأخيرة، فإن المبادئ العامة للبيان ما زالت حتى في أيامنا تحتفظ، في خطوطها الكبرى، بكل سدادها. إلا أنه من الإمكان إدخال تعديلات تتعلق بالتفاصيل على هذه الفقرة أو تلك من فقراته. والبيان نفسه يعلن بأن التطبيق العملي لهذه المبادئ خاضع دائما وفي كل مكان للشروط المعطاة تاريخيا. إذن فنحن لا نعلق البتة أهمية خاصة على التدابير الثورية التي اقترحناها في نهاية الفصل الثاني. ولو كان لنا أن نعيد كتابة هذا المقطع اليوم لكتبناه بشكل مختلف من نواح عدة. لقد شاخ هذا البرنامج اليوم في بعض نقاطه بتأثير التقدم الضخم الذي أنجزته الصناعة الكبيرة خلال الخمس والعشرين عاما الأخيرة، والتقدم الموازي الذي أنجزته الطبقة العاملة من حيث تنظيمها في حزب، وأيضا بتأثير التجارب العملية لثورة نوفمبر أولا ثم التجارب العملية الأكثر أهمية التي تركتها كومونة باريس حيث أمسكت البروليتاريا بين يديها، لأول مرة ولمدة شهرين، بالسلطة السياسية. لقد برهنت الكومونة بوجه خاص على «أن الطبقة العاملة لا يمكنها أن تكتفي بمجرد الإستيلاء على جهاز الدولة القائم وتسييره لتحقيق أهدافها الخاصة» (أنظر الحرب الأهلية في فرنسا. نداء المجلس العام لجمعية العمال الأممية... حيث طورت هذه الفكرة بشكل أوسع). وفضلا عن ذلك فمن البديهي أن توجد بنقد الأدب الإشتراكي ثغرة فيما

يخص الفترة الراهنة، إذ أنه يقف في 1847. وإذا كانت الملاحظات المتعلقة بمواقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة (فصل 4) مازالت إلى اليوم صحيحة من حيث مبادئها، فإنها شاخت من حيث تطبيقها لأن الوضع السياسي تغير كليا ولأن التطور التاريخي حكم بالإختفاء على معظم الأحزاب التي عُددت في هذا المقطع.

بيد أن البيان وثيقة تاريخية لم يعد يحق لنا تعديلها. وعسانا أن نتمكن يوما من إصدار طبعة مع مدخل نعالج فيه الفترة الممتدة من 1847 إلى أيامنا. أما الطبعة الراهنة فقد أخذتنا على حين غرة بحيث لم تترك لنا وقتا لذلك.

ماركس-إنجلز، لندن يونيو 1872

التاريخ هو تاريخ صراع الطبقات

[...]

الفكرة الجوهرية والقائدة للبيان، ألا وهي أن الإنتاج الإقتصادي والبنية الإجتماعية، المتفرعة عنه بالضرورة، يشكلان، في كل حقبة تاريخية، أساس التاريخ السياسي والفكري لهذه الحقبة؛ ولذا فإن التاريخ كله (منذ انحلال الملكية المشاعية القديمة للأرض) كان تاريخ الصراع بين الطبقات، كان في مختلف مراحل التطور الاجتماعي، تاريخا للصراع بين الطبقات المستغَلة والطبقات المستغِلة، بين الطبقات الحاكمة والطبقات الحكومة. لكن هذا الصراع قد بلغ الآن مرحلة أصبحت فيها الطبقة المستغَلة والمقهورة (البروليتاريا) غير قادرة على تحرير نفسها من الطبقة التي تستغلها وتقهرها (البرجوازية) إلا إذا حررت في الوقت نفسه وإلى الأبد المجتمع كله من الإستغلال والقهر ومن صراع الطبقات؛ هذه الفكرة الجوهرية تعود حصرا إلى ماركس، وإليه وحده.

[...]

إنجلز ، لندن 28- يونيو 1883، من مقدمة الطبعة الألمانية الثانية

تحرر العمال من صنعهم

من مقدمة الطبعة الألمانية 1890

[...]

حينما استعادت البروليتاريا الأوروبية قوتها بما يكفي للإنقضاض من جديد على سلطان الطبقات السائدة، ولدت جمعية العمال الأممية [الأممية الأولى] التي كان هدفها صهر الطبقة العاملة كلها بأوروبا وأمريكا في جيش وحيد عرمرم قادر على الإنخراط في الصراع. ولذا لم يكن في وسع الأممية أن تنطلق مباشرة من المبادئ المعروضة في البيان. إذ كان عليها أن تتبنى برنامجا لا يغلق الباب في وجه النقابات الإنجليزية، ولا في وجه البرودونيين الفرنسيين والبلجيكيين والإيطاليين والإسبان ولا في وجه اللاساليين الألمان [10]. وهذا البرنامج -ديباجة نظام الأممية الأساسي- صاغه ماركس بمهارة استحقت ثناء باكونين والفوضويين أنفسهم. أما الإنتصار الحاسم للقضايا التي أعلنها البيان فقد كان ماركس ينتظره فقط من تطور الطبقة العاملة الذهني الذي سينتج بالضرورة من النشاط المشترك والمناقشة. إذ تستطيع الأحداث وتعاقب الإنتصارات والإندحارات، والإندحارات تستطيع أكثر بكثير من الإنتصارات، أن تشعر المناضلين بعجز وصفاتهم السحرية التي طالما تكلموا عليها وذلك ما سيقودهم إلى الإدراك العميق للشروط الحقيقية للتحرر العمالي. وكان ماركس على حق. فبروليتاريا 1874 كانت، بعد حل الأممية، مختلفة كليا عن بروليتاريا 1864: تاريخ تأسيس الأممية. فقد كانت البرودونية في فرنسا وبلجيكا وإسبانيا واللاسالية الحقة في ألمانيا تعاني جميعا سكرات الموت [...]. لكن منذ 1887 كانت الإشتراكية في القارة الأوروبية تتطابق كل التطابق تقريبا مع النظرية التي صاغها البيان. وهكذا يعكس تاريخ البيان الشيوعي إلى حد ما تاريخ الحركة العمالية الحديثة منذ 1848. ولا جدال اليوم في أنه الكتاب الأكثر انتشارا والأكثر أممية من كل الآداب الإشتراكي، وأنه البرنامج المشترك لملايين العمال في جميع البلدان، من سيبريا إلى كاليفورنيا.

بيد أنه لم يكن بإمكاننا عند صدوره تسميته بالبيان الإشتراكي. ذلك أنه

في 1847 كان هناك نوعان من الناس مندرجين تحت اسم الإشتراكي: من جهة المنتسبون لشتى النظم الطوباوية خاصة أنصار وين في إنجلترا وأنصار فوريه في فرنسا، والذين لم يعودوا جميعا إلا مجرد شيع هزيلة، محكوم عليها بالموت البطيء هزالا. ومن جهة أخرى، كان هناك المشعوذون الإجتماعيون من كل شاكلة وطراز، الذين كانوا يزعمون أنهم، بمساعدة مختلف وصفاتهم السحرية وعلاجاتهم المرقعة، سيقضون على جميع صنوف البؤس الإجتماعي دون إلحاق أدنى ضرر بالرأسمال والربح. وفي كلتا الحالتين، لم يكن هؤلاء جميعا، سوى أناس غرباء عن الحركة العمالية، ويسعون بوجه خاص للحصول على دعم الطبقات «المثقفة». وبالعكس من هؤلاء جميعا، كان ذلك الجزء من العمال، الذي اقتنع بعدم كفاية الإنقلابات السياسية الصرف، والذي ينادي بإحداث تغييرات جوهرية في المجتمع، يسمي نفسه شيوعيا. لقد كانت شيوعية بالكاد مهذبة، سليقية تماما، وأحيانا لا تخلو من الجلافة؛ لكنها كانت من القوة بحيث استطاعت أن تنجب منظومتين من الشيوعية الطوباوية: إيكاريا كابي في فرنسا ونظام فايتلينج في ألمانيا. كانت الإشتراكية في 1847 مرادفة لحركة برجوازية، وكانت الشيوعية مرادفة لحركة عمالية. في القارة الأوروبية على الأقل، كانت الإشتراكية تجد طريقها إلى الصالونات أما الشيوعية فكان بينها وبين الصالونات حجاب. وبما أننا كنا منذ ذلك العهد نعتقد بكل جلاء ووضوح أن «تحرر العمال يجب أن يكون من صنع العمال أنفسهم»، فلم يكن لنا أن نتردد لحظة في الإسم الذي علينا أن نختاره. ومذ ذاك لم يخطر ببالنا قط أن نتخلى عنه.

«يا عمال العالم إتحدوا!» عندما وجهنا هذا النداء إلى أنحاء العالم لم تجبنا إلا بضعة أصوات فقط. كان ذلك منذ 42 عاما، وعشية الثورة الباريسية الأولى [1848] التي رفعت فيها البروليتاريا مطالبها الخاصة بها. لكن في 28 سبتمبر 1864 إتحد بروليتاريون من جل بلدان أوروبا الغربية ليؤسسوا جمعية العمال الأممية المرحومة. لم تعش الأممية سوى 9 سنوات. لكن الحلف الأبدي بين بروليتاريي جميع البلدان الذي وضعت الأممية أسسه ما زال دائما حيا وأشد بأسا من أي وقت مضى. وفي اللحظات التي أكتب فيها هذه السطور تستعرض بروليتاريا أوروبا وأمريكا قواها التي تنتظم لأول مرة في جيش واحد، وتحت علم واحد، وفي سبيل

هدف واحد: التحديد القانوني ليوم العمل العادي بثماني ساعات [...] سيبرهن مشهد هذا اليوم للرأسماليين والملاكين العقاريين في جميع البلدان، بأن بروليتاريي جميع البلدان متحدون حقا.

ألا ليت ماركس كان بجانبي ليرى ذلك بعينيه!

إنجلز، لندن- أول مايو 1890

في كل مكان كانت الثورة من صنع البروليتاريا

مقدمة الطبعة الإيطالية 1893

صادف صدور بيان الحزب الشيوعي بدقة تقريبا بتاريخ 18مارس 1848 الثورة في ميلانو وبرلين[...]

في كل مكان كانت الثورة من صنع الطبقة العاملة: فهي التي أقامت المتاريس وضحت بحياتها. بيد أن عمال باريس وحدهم كانوا، بإسقاطهم الحكومة، قد صمموا تصميما على قلب النظام البرجوازي أيضا. لكن بالرغم من أنهم كانوا واعين للتناحر المحتوم بين طبقتهم والبرجوازية، فإن التقدم الإقتصادي للبلاد وكذلك التطور الفكري لجماهير العمال الفرنسيين لم يبلغا المستوى الذي يساعد على تحقيق التغيير الإجتماعي. ولهذا السبب بالذات، قطفت البرجوازية، في النهاية، ثمار الثورة. أما في البلدان الأخرى -إيطاليا، ألمانيا، النمسا- فإن العمال، منذ البداية، لم يفعلوا سوى مساعدة البرجوازية على أخذ زمام السلطة [...].

إنجلز ، لندن 01 فبراير 1893

بيان الحزب الشيوعي
[مدخل: من شبح الشيوعية إلى قوة الشيوعية]

إن شبحا يرعب أوروبا هو شبح الشيوعية. وقد تجمعت جميع قوى أوروبا القديمة: البابا، والقيصر، وميترنيخ، وجيزو، والراديكاليون الفرنسيون والبوليس الألماني في حملة صيد - طراد مقدس لملاحقة هذا الشبح.

أي حزب معارض لم يتهمه خصومه في السلطة بالشيوعية؟ وأي حزب معارض لم يدمغ بدوره خصومه من أصحاب اليسار أومن أصحاب اليمين بعار الشيوعية الشنيع؟

وحاصل ذلك أمران:

أصبحت الشيوعية معترفا بها كقوة من جميع القوى الأوروبية،

آن الأوان لكي يوضح الشيوعيون بمرأى ومسمع من العالم كله تصوراتهم، أهدافهم واتجاهاتهم وأن يواجهوا أسطورة الشبح الشيوعي ببيان الحزب الشيوعي نفسه.

وتحقيقا لهذا الهدف اجتمع بلندن شيوعيون من مختلف القوميات ووضعوا هذا البيان الذي ينشر بالإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والفلامندية، والدانماركية.

١- البرجوازيون والبروليتاريون

[11]

[I. المبدأ: التاريخ صراع طبقي وديناميته مطبوعة بثورات؛ وفي 1848غدا الوضع جذريا : البرجوازية ضد البروليتاريا]

ليس تاريخ كل مجتمع [12] إلى يومنا هذا سوى تاريخ صراع الطبقات.

فالحر والعبد، والنبيل والعامي والبارون (الإقطاعي) والقن، والمعلم [13] والصانع، وباختصار فالظالمون والمظلومون، المتعارضون دوما، خاضوا صراعا لا ينتهي، صريحا تارة ومستترا تارة أخرى، صراعا كان ينتهي دائما أما بتغيير المجتمع كله تغييرا ثوريا واما بانهيار كلتا الطبقتين المتصارعتين.

في العصور الأولى للتاريخ، نجد تقريبا في كل مكان تنظيما كاملا للمجتمع في طبقات متباينة، في مراتب مختلفة من الأوضاع الإجتماعية. ففي روما القديمة نجد النبلاء، فالفرسان، فالعامة فالعبيد؛ ونجد في العصور الوسطى الإقطاعيين الأسياد ثم الأتباع، ثم معلمي الحرفة، ثم الصناع، ثم الأقنان، وفضلا عن ذلك نجد تقريبا في كل واحدة من هذه الطبقات مراتب خاصة.

أما المجتمع البرجوازي، الذي قام على أنقاض المجتمع الإقطاعي، فلم يقض على التناحر الطبقي. بل لم يفعل غير استبدال الطبقات القديمة، وشروط الاضطهاد القديمة، وأشكال الصراع القديمة بطبقات جديدة، وشروط اضطهاد جديدة وأشكال صراع جديدة.

بيد أن حقبتنا، حقبة البرجوازية، تميزت بجعلها التناحر الطبقي بسيطا. ذلك أن المجتمع كله آخذ في الانقسام أكثر فأكثر إلى معسكرين كبيرين متعاديين، إلى طبقتين كبيرتين متناحرتين: البرجوازية والبروليتاريا.

[II. وصف لتشكل سلطة البرجوازية.]

تحدَر برجوازيو الكومونات الأولى من أقنان القرون الوسطى؛ ومن برجوازية هذه الكومونات ولدت البذور الأولى للبرجوازية.

[1. جوانب اقتصادية:

أ.»الاكتشافات الكبرى» وازدهار التجارة والصناعة.]

وأعطى اكتشاف أمريكا والملاحة حول إفريقيا للبرجوازية الوليدة مجالا جديدا للنشاط. فأسواق جزر الهند الشرقية، والصين، واستعمار أمريكا، والتبادل التجاري مع المستعمرات، وزيادة وسائل التبادل، و السلع عموما ، مكنت التجارة والملاحة والصناعة من نهضة لم يسبق لها مثيل، ومن ثمة سرعت تطور العنصر الثوري في صلب المجتمع الإقطاعي المتداعي .

[ب. المانفاتورة.]

لم يعد نمط الإستثمار الإقطاعي أو الحرفي في الصناعة كافيا لتلبية الحاجات المتنامية مع الأسواق الجديدة. فحلت المانفاتورة محله. وخلّى معلمو الحرف مكانهم للبرجوازية الصناعية المتوسطة، كما خلّى تقسيم العمل بين الجمعيات الحرفية المختلفة مكانه لتقسيم العمل داخل الورشة الواحدة.

[ج.الصناعة والآلية.]

إلا أن الأسواق كانت تتسع باستمرار والطلب يتزايد دوما. وهكذا أصبحت المانفاتورة بدورها قاصرة [عن تلبية طلب السوق]. عندئذ ثوّر البخار والآلة الإنتاج الصناعي. وخلعت الصناعة الحديثة المانفاتورة عن عرشها، وخلّت البرجوازية الصناعية الوسطى مكانها للصناعيين من أصحاب الملايين، لقادة الجيوش الصناعية الحقيقية. لبرجوازيي العصر الحديث.

[د. السوق العالمية.]

خلقت الصناعة الكبرى السوق العالمية، هذه السوق التي ساعد اكتشاف أمريكا على خلقها. سرعت هذه السوق العالمية نمو التجارة والملاحة وطرق المواصلات تسريعا مذهلا. وأثر هذا النمو بدوره على توسّع الصناعة، وبقدر ما كانت الصناعة، والتجارة، والملاحة والسكك الحديدية تنمو، كانت البرجوازية تنمو هي أيضا، وتُنمي رأسمالها وتزيح إلى المؤخرة جميع الطبقات التي خلفتها القرون الوسطى.

وهكذا نرى أن البرجوازية الحديثة هي نفسها منتوج تطور طويل، وسلسلة من الثورات في نمط الإنتاج ووسائل المواصلات.

[2. جوانب سياسية:

من كومونة القرون الوسطى إلى الدولة البرلمانية.]

ترافقت كل مرحلة من مراحل التطور هذه التي اجتازتها البرجوازية بتقدم سياسي أحرزته هذه الطبقة. فمن طبقة يطحنها الإستبداد الإقطاعي إلى جمعية مسلحة تحكم نفسها بنفسها في الكمونة [14]، فإلى جمهورية حضرية مستقلة تارة أو طبقة ثالثة عرضة للضرائب والسخرة في الأنظمة الملكية تارة أخرى؛ وطوال عهد المانفاتورة غدت عديلا للنبالة في ظل المميلكات الإقطاعية أو المطلقة، ثم أصبحت الركيزة الأساسية للممالك الكبرى، وما أن نمت الصناعة الكبيرة وظهرت السوق العالمية حتى استولت البرجوازية في نهاية المطاف على السيادة السياسية الكاملة في الدولة النيابية الحديثة. وليست الحكومة الحديثة سوى لجنة تدير الشؤون العامة للطبقة البرجوازية بأسرها.

[III. طبيعة الثورة البرجوازية.]

لعبت البرجوازية في التاريخ دورا ثوريا تماما.

[1. المجتمع البرجوازي

أ واقعية الإستغلال والبحث عن الربح الأقصى]

حيثما استولت على السلطة حطمت جميع العلاقات الإقطاعية، الأبوية، العاطفية. ومزقت دون رحمة جميع العلاقات المعقدة المتنوعة التي كانت تشد الإنسان الإقطاعي إلى من هم طبيعيا أعلى منه مقاما، لكي لا تبقي على أية علاقة أخرى بين الإنسان والإنسان سوى علاقة المصلحة الصرفة والإلزام القاسي ب»الدفع فورا». لقد أغرقت أقدس انفعالات الوجد الديني، والحمية الفروسية ورقة البرجوازية الصغيرة الرخيصة في صقيع الحساب الأناني، وحولت الكرامة الشخصية إلى مجرد قيمة تبادل. وأحلت حرية التجارة الوحيدة والغاشمة محل الحريات العديدة المعترف بها كتابة والتي انتزعت بأغلى التضحيات، وباختصار، فقد استبدلت بالإستغلال الذي كانت تموهه الأوهام الدينية والسياسية، استغلالا صريحا، وقحا، مباشرا ووحشيا.

[ب. المال بما هوقيمة أساسية.]

لقد جردت البرجوازية من هالتها جميع ألوان النشاط التي كانت حتى ذلك الحين مجللة بالوقار وتحاط باحترام مقدس. فالطبيب، والقانوني، والكاهن، والشاعر، والعالم، جعلتهم جميعا أجراء في خدمتها.

لقد مزقت البرجوازية الحجاب العاطفي والتأثر الذي كان يغطي العلاقات العائلية واختزلتها إلى مجرد علاقات مالية.

[ج. عقلية المغامرة]

لقد كشفت البرجوازية كيف أن التباهي بالقوة الغاشمة في القرون الوسطى، الذي تعجب به الرجعية أيما إعجاب، كان يجد تكملته الطبيعية في أكثر أشكال التنبلة قذارة. فالبرجوازية هي أول من برهن على ما يستطيع النشاط الإنساني أن يأتي به. لقد حققت عجائب أين منها أهرامات مصر، وقنوات روما والكاتدرائيات القوتية؛ وقادت ببراعة حملات عسكرية أين منها إجتياحات [روما] والحروب الصليبية.(4)

[2. نمط الإنتاج الرأسمالي
أ.التثوير المستمر للإنتاج]

لا تستطيع البرجوازية أن توجد دون أن تثور باستمرار أدوات الإنتاج إذن علاقات الإنتاج، أي مجموع العلاقات الإجتماعية. أما الإبقاء على نمط الإنتاج القديم دون تغيير فقد كان، على العكس، الشرط الأول لبقاء جميع الطبقات الصناعية السابقة. فهذا التثوير الدائم، للإنتاج وهذه الزعزعة المتواصلة للنظام الإجتماعي كله، وهذا الإضطراب وهذا القلق المتجددين جميعها تميز الحقبة البرجوازية عن جميع الحقب التي تقدمتها. فكل العلاقات الإجتماعية التقليدية والباهتة تتفسخ ومعها تتفسخ مواكب تصوراتها وأفكارها العتيقة الوقورة؛ والعلاقات التي تحل محلها لا تلبث أن تهرم حتى قبل أن يصلب عودها. وكل ما كان مكينا ومستقرا يتطاير هباء منثورا، وكل ما كان مقدسا يغدو مدنسا، وأخيرا يضطر الناس إلى فحص شروط حياتهم وعلاقاتهم المتبادلة بأعين صاحية.

[ب. «عولمة» الصناعة]

تكتسب البرجوازية، مدفوعة بحاجتها إلى أسواق أبدا جديدة، الأرض بأسرها. فلا بد لها من أن تعشش في كل مكان، وأن تستغل في كل مكان، وأن تقيم العلاقات في كل مكان.

أعطت البرجوازية، باستغلالها للسوق العالمية، طابعا عالميا لإنتاج جميع البلدان واستهلاكها. ورغم أسى الرجعيين العميق إنتزعت البرجوازية من الصناعة قاعدتها القومية. فالصناعات القومية القديمة دمرت، ويلحق بها يوميا مزيد من الدمار. وحلت محلها صناعات جديدة أصبحت تبنيها، من جميع الأمم المتحضرة، مسألة حياة أو موت؛ ولم تعد هذه الصناعات تستخدم المواد الأولية المحلية، بل مواد أولية آتية من أكثر المناطق بعدا، وتستهلك منتجاتها لا داخل البلد وحسب بل في جميع أنحاء العالم. وعلى أنقاض الحاجات القديمة التي كانت تلبيها المنتوجات الوطنية تلد حاجات جديدة يتطلب إشباعها استيراد منتوجات البلدان والأقاليم النائية. وعلى أنقاض الإنعزال القطري والقومي القديم، القائم على الإكتفاء الذاتي، تنمو تجارة عالمية وتبعية متبادلة بين جميع الأمم. وما هو صحيح بصدد الإنتاج المادي لا يقل صحة بخصوص الإنتاج الفكري. فالآثار الفكرية لأمة ما تصبح ملكا مشتركا لجميع الأمم. ويغدو قصر النظر والتقوقع القوميان مستحيلين اكثر فاكثر. ويلد، من مجموع الآداب القومية والقطرية، أدب عالمي.

[ج.غزو السوق العالمية.]

بالإتقان السريع لأدوات الإنتاج، وبالتحسين الدائم لوسائل المواصلات، تجر البرجوازية إلى تيار الحضارة حتى أشد الأمم همجية. أما رخص منتوجاتها فيظل المدفعية الثقيلة التي تشن بها هجوما عنيفا على جميع الأسوار الصينية، وبها ترغم على الاستسلام أشد الهمج مراسا في عداء الأجانب. وتقود قسرا جميع الأمم، تحت طائلة الهلاك، إلى تبني نمط إنتاج البرجوازية؛ وترغمها، مهما أبت، على إدخال الحضارة المزعومة إليها أو قُل ترغمها على أن تصبح برجوازية. وباختصار، فهي تخلق عالما على صورتها.

[3. العالم البورجوازي

أ. ازدهار حضارة المدن.]

لقد أخضعت البرجوازية الريف لسيطرة المدينة، وأنشأت مدنا هائلة، وضخمت تضخيما مذهلا سكان المدن قياسا على سكان الأرياف، وبذلك إنتزعت جل السكان

من بلاهة الحياة القروية. مثلما أخضعت الريف للمدينة والبلدان الهمجية وشبه الهمجية للبلدان المتحضرة، طوعت الشعوب الفلاحية للشعوب البرجوازية والشرق للغرب.

[ب. مركزة المِلكية والسلطة السياسية]

تقضي البرجوازية باستمرار على تفتت وسائل الإنتاج وتبعثر السكان والملكية. فقد كدست السكان، ومركزت وسائل الإنتاج وركزت الملكية في أيد قليلة. وجاءت المركزية السياسية نتيجة محتومة لهذه التغيرات. فالأقاليم المستقلة، المتحدة بالكاد فيما بينها، والتي كان لكل منها مصالح، وقوانين، وحكومات، وتعريفات جمركية مختلفة وُحدت في أمة واحدة، ذات حكومة واحدة، وقانون واحد، ومصلحة قومية طبقية واحدة خلف حدود جمركية واحدة.

[ج. تطور ضخم لقوى الإنتاج]

خلقت البرجوازية، خلال سيطرتها الطبقية، التي لم يكد يمضي عليها قرن، قوى منتجة تفوق عددا وحجما كل ما صنعته الأجيال الماضية مجتمعة. فقوى الطبيعة التي روضت، والآلية التي عممت، والكيمياء التي على الصناعة والزراعة طبقت، والملاحة البخارية، والسكك الحديدية والتليفون الكهربائي التي أخترعت، والقارات التي كانت مواتا فأحييت، والأنهر التي نظمت وللملاحة سخرت، والشعوب التي من باطن الأرض أخرجت -فأي عصر سالف كان يتوقع أن مثل هذه القوى المنتجة تهجع في صلب العمل الإجتماعي؟

[4. خاتمة: بإرسائها المنافسة الحرة حررت البورجوازية الإمكانات الإقتصادية للإنسانية]

ولكننا رأينا أن وسائل الإنتاج والتبادل، التي على أساسها بنت البرجوازية نفسها، نشأت في داخل المجتمع الإقطاعي. وفي درجة ما من تطور وسائل الإنتاج والتبادل تلك، وتطور الشروط التي كان فيها المجتمع الإقطاعي ينتج ويتبادل، فإن التنظيم الإقطاعي للزراعة والمانيفاتورة، - وباختصار النظام الإقطاعي للملكية- لم يعودا يتناسبان مع القوى المنتجة في أوج تطورها. بل كانا يعيقان الإنتاج، بدلا من جعله

يتقدم، وتحولا إلى قيدين يكبلانه. ولم يكن من تحطيمهما بد؛ فحطما.

على أنقاض النظام الإقطاعي قامت المزاحمة الحرة يرافقها نظام إجتماعي وسياسي مناسب لها، سيادة الطبقة البرجوازية الإقتصادية والسياسية.

[IV. حدود الثورة البرجوازية وتناقضاتها.

التناقضات الداخلية:

عجز عن التحكم في الأزمات الإقتصادية.]

وها نحن نشهد اليوم أن حركة مماثلة تجري أمام عيوننا. فالعلاقات البرجوازية للإنتاج والتبادل، ونظام الملكية البرجوازية، والمجتمع البرجوازي الحديث، الذي أنشأ وسائل إنتاج وتبادل جبارة، يشبه الساحر الذي لم يعد يعرف كيف يتحكم في الشياطين التي استحضرها. فمنذ عشرات السنين لم يعد تاريخ الصناعة والتجارة سوى تاريخ تمرد القوى المنتجة الحديثة على علاقات الإنتاج الحديثة، على نظام الملكية الذي يشترط وجود البرجوازية وسيطرتها. يكفي التذكير بالأزمات التجارية الدورية التي تهدد أكثر فأكثر المجتمع البرجوازي في صميم وجوده. فكل أزمة تدمر بانتظام لا كمية هائلة من المنتوجات الجاهزة وحسب، بل أيضا جزءا كبيرا من القوى المنتجة القائمة. وفي هذه الأزمات ينتشر وباء إجتماعي كان سيبدو ضربا من العبث في جميع الحقب السالفة؛ ذلك هو وباء فائض الإنتاج. ففجأة يجد المجتمع نفسه وقد عاد إلى حالة من الهمجية المؤقتة؛ حتى ليخيل للمرء أن مجاعة أو حرب إبادة قد قطعتا على المجتمع جميع موارد عيشه؛ وتبدو الصناعة والتجارة دمارا؛ ولماذا؟ لأن المجتمع نال فائضا من الحضارة، وفائضا من موارد العيش، وفائضا من الصناعة وفائضا من التجارة. ولم تعد القوى المنتجة التي يمتلكها تخدم تقدم الحضارة البرجوازية، ونظام الملكية البرجوازية، بل ان قوى الإنتاج تلك أصبحت، بالعكس، أقوى بكثير من نظام الملكية البرجوازية الذي بات معيقا لإزدهارها؛ وكلما تغلبت على هذا العائق ألقت بالمجتمع البرجوازي كله في أحضان الإضطراب وعرضت وجود الملكية البرجوازية للخطر. لقد غدا النظام البرجوازي أضيق من أن يستوعب الثروات التي أنتجها. فكيف تتغلب البرجوازية على هذه الأزمات؟ من جهة تدمر بالعنف كتلة من القوى المنتجة، وتستولي، من جهة أخرى، على أسواق

جديدة وتكثف استغلالها للأسواق القديمة. وما هي عواقب ذلك؟ هي الإعداد لأزمة أكثر اتساعا وهولا والتقليص لوسائل توقيها.

الأسلحة التي استخدمتها البرجوازية للإطاحة بالإقطاع ترتد اليوم إلى نحرها.

[2. النظام البرجوازي يصنع القوة التي ستقضي عليه.]

بيد أن البرجوازية لم تصنع أسلحة إعدامها وحسب، بل أنتجت أيضا الرجال الذين يستخدمون هذه الأسلحة: العمال العصريين أو البروليتاريين.

[أ. وضع البروليتاريا الصناعية.

* إنها مرغمة على بيع قوة عملها دون ترقب الغد.]

بقدر ما تنمو البرجوازية ، أي الرأسمال، تنمو البروليتاريا أيضا، أي طبقة العمال العصريين الذين لا يعيشون إلا إذا وجدوا عملا ولا يجدونه إلا إذا كان عملا ينمي الرأسمال. هؤلاء العمال المرغمون على بيع أنفسهم يوميا هم سلعة لا تختلف في شيء عن أي سلعة أخرى تباع وتشترى، ومعرضون بالتالي، كالسلع الأخرى، لجميع مصائب المزاحمة ولجميع تقلبات السوق.

[عملها يصبح ملحقا الآلة]

إن استخدام الآلة وتطور تقسيم العمل، بسلبهما عمل البروليتاري من كل استقلال، سلباه بالتالي من كل جاذبية. وغدا العامل مجرد ملحق بالآلة، لم يعد يُطلب منه إلا العملية الأكثر بساطة، ومملا وسرعة حفظ. ولذلك فإن ما يكلفه العامل [أي أجرته] أختزل تقريبا إلى ما يلزم لإبقائه حيا واستمرار نسله. وبناء على ذلك فسعر العمل(5) كسعر كل سلعة أخرى يساوي تكاليف إنتاجه. ولذلك فكلما أصبح العمل أكثر بشاعة، ازدادت الأجور انخفاضا وبالإضافة إلى ذلك: فكلما ازدادت الآلية وتقسيم العمل، ازدادت كمية العمل أيضا، إما بإلزام العامل

بزيادة ساعات العمل، وإما بتسريع حركة الآلات الخ...

[اخضاعها لإنضباط عسكري في المصنع]

حولت الصناعة الحديثة ورشة المعلم الحرفي البطريقي الصغير إلى مصنع كبير للرأسمالي الصناعي. أما جماهير العمال المكدسين في المصنع فقد نظموا تنظيما عسكريا. وباعتبارهم جنود الصناعة البسطاء فقد أُخضعوا لرقابة مراتب بكاملها من ضباط الصف والضباط. وهم ليسوا عبيد الطبقة البرجوازية والدولة البرجوازية وحسب ، بل أيضا هم، في كل يوم وفي كل ساعة، عبيد للآلة ولرئيس العمال، وللبرجوازي صاحب المصنع خاصة. وكلما أعلن هذا الإستبداد علنا على أن الربح هو هدفه الأوحد كلما غدا حقيرا، مقيتا ومغيظا.

[إخضاع المجتمع برمته لمقياس الربح]

كلما تطلب العمل اليدوي قدرا أقل من المهارة والقوة الجسمية -أي كلما تقدمت الصناعة الحديثة- كلما حل عمل النساء والأطفال محل عمل الرجال. وعندئذ لا تبقى لفوارق الجنس والسن أهمية اجتماعية بالنسبة للطبقة العاملة التي لم تعد توجد إلا كأدوات عمل يختلف سعر كلفتها باختلاف السن والجنس.

وبعدما يكابد العامل استغلال صاحب المصنع وتُدفع له أجرته نقدا يجد نفسه فريسة لأعضاء آخرين من البرجوازية: لمالك البيت، لصاحب الدكان، وللمرابي الخ...

[بلترةعامة للمجتمع]

تتلاشى في البروليتاريا الطبقات الوسطى الصغيرة المترسبة من الماضي من صغار الصناعيين، وصغار التجار، وذوي الإيرادات الصغيرة، والحرفيين والفلاحين، أما لأن رأس مالها الضعيف لا يمكنها من استخدام أساليب الصناعة الكبيرة فتهلك إذن في المنافسة مع الرأسماليين الأكبر منها، وأما لأن طرائق الإنتاج الجديدة تحط من قيمة مهارتها الفنية. وهكذا فالبروليتاريا تُجند من جميع طبقات السكان.

[ب. مراحل صراع البروليتاريا من أجل تحررها]

تجتاز البروليتاريا، في مسار تطورها، أطوارا شتى. لكن صراعها ضد البرجوازية يبدأ مع وجودها ذاته.

[المرحلة الأولى: رفض الآلية]

في البداية ينخرط في الصراع عمال معزولون ضد البرجوازي الذي يستغلهم مباشرة ثم يلتحق بهم عمال نفس المصنع وأخيرا ينضم إليهم في صراعهم عمال فرع من فروع الصناعة قائم في نفس المنطقة. ولا يوجه العمال هجومهم إلى علاقات الإنتاج البرجوازية فقط، بل يوجهونه أيضا إلى أدوات الإنتاج نفسها؛ فيتلفون السلع الأجنبية التي تزاحمهم، ويحطمون الآلات ويشعلون المصانع نارا ويحاولون استعادة المكانة المنقرضة، مكانة الحرفي في القرون الوسطى.

[المرحلة الثانية: النضال ضد مخلفات الماضي]

ويشكل العمال، في هذا الطور، جمهورا مبعثرا في أنحاء البلد ومفتتا بالمزاحمة. وإذا حدث أن كان اتحاد العمال أكثر تلاحما، فذلك ليس نتيجة لوحدتهم هم أنفسهم. وإنما هو نتيجة لوحدة البرجوازية التي عليها، لكي تحقق أهدافها السياسية الخاصة بها، أن تحرك البروليتاريا بأسرها. وهي ما تزال، في اللحظة، قادرة على ذلك. وإذن، فخلال هذا الطور لا يحارب البروليتاريون أعداءهم بل أعداء أعدائهم: بقايا الحكم الملكي المطلق، الملاكين العقاريين، البرجوازيين غير الصناعيين والبرجوازيين الصغار. وعلى هذا النحو تكون الحركة التاريخية برمتها مركزة بين يدي البرجوازية؛ وكل انتصار يحقق في هذه الشروط إنما هو انتصار برجوازي.

[المرحلة الثالثة: تجذر الشروط التي تسمح بتشكل الوعي البروليتاري.]

لكن تطور الصناعة لا ينمي البروليتاريا وحسب، وإنما يجمعها أيضا في كتل

هائلة باستمرار؛ فتتعاظم قوتها؛ وهي تعي قوتها هذه يوما عن يوم.

وبقدرما تمحو الآلة جميع الفوارق في العمل وتختزل في كل مكان تقريبا الأجرة إلى مستوى مماثل في تدنيه تتساوى مصالح البروليتاريا وشروط حياتها أكثر فأكثر. وباستمرار تجعل المنافسة بين البرجوازيين والأزمات التجارية الناجمة عنها أجور العمال أكثر تقلبا. ويؤدي إتقان الآلة المتواصل والسريع دوما إلى جعل حالة العامل أكثر فأكثر مزعزعة؛ وباستمرار يأخذ الصدام الفردي بين العامل والبرجوازي طابع الصدام بين طبقتين. ويشرع العمال في التكتل ضد البرجوازيين دفاعا عن أجورهم. ويصل بهم الأمر إلى حد تشكيل جمعيات دائمة لتأمين زادهم أثناء التمرد المحتمل. وفي بعض الأماكن يفجر هذا الصراع فِتنا.

[العناصر المساعدة على تقوية الوعي البروليتاري: التركز العمالي ووسائل الاتصال.]

ينتصر العمال أحيانا. لكنه انتصار سريع الزوال. والنتيجة الحقيقية لصراعهم ليس النجاح الفوري بقدر ما هي اتحاد العمال المتنامي. وقد سهل هذا الإتحاد بنمو وسائل المواصلات التي خلقتها الصناعة الكبرى والتي تمكن عمال المناطق المختلفة من الإتصال. وإقامة هذا الإتصال كافية لجعل الصراعات المحلية العديدة، والتي تكتسي في كل مكان نفس الطابع، ممركزة في صراع طبقي واحد على المستوى القومي. لكن كل صراع طبقي هو صراع سياسي. والإتحاد الذي كان يستغرق من برجوازيي القرون الوسطى، نظرا لطرقاتهم القروية، قرونا لتحقيقه، يحققه اليوم البروليتاريون في بضع سنين بفضل السكة الحديدية.

[انقسامات البرجوازية]

المنافسة التي يخوضها العمال فيما بينهم تحطم دونما انقطاع انتظام البروليتاريا في طبقة وإذن في حزب سياسي. لكن هذا الإنتظام في طبقة يعود دائما من جديد وهو أرسخ قدما وأشد بأسا وأصلب مراسا، ويغتنم وجود الإنقسام داخل البرجوازية ليرغمها على الإعتراف قانونيا ببعض مصالح الطبقة العاملة: مثلا قانون تحديد يوم العمل بعشر ساعات في إنجلترا [مايو 1848].

وعلى العموم فالإصطدامات التي تقع في المجتمع القديم تدفع، بشتى الصور، تطور البروليتاريا قُدما. فالبرجوازية تعيش في حالة حرب دائمة: ضد الأرستقراطية أولا، ثم ضد تلك الشرائح من البرجوازية نفسها التي تتناقض مصالحها مع تقدم الصناعة؛ وأخيرا، ودائما، ضد برجوازية جميع البلدان الأجنبية. وفي غمار هذه الصراعات تضطر البرجوازية للإستنجاد بالبروليتاريا وطلب مساعدتها وجرها بهذه الطريقة إلى الحركة السياسية. وهكذا تضع البرجوازية في تصرف البروليتاريين عناصر تطورها هي نفسها؛ وفي صيغة أخرى، تقدم لهم الأسلحة ضد نفسها.

[تبلتر المجتمع]

وبالإضافة إلى ما رأيناه قبل قليل، يُسقط تقدم الصناعة شرائح بكاملها من الطبقة المسيطرة إلى حضيض البروليتاريا أو يهدد، على الأقل، وضعها المعيشي. وتحمل هذه الشرائح هي الأخرى إلى البروليتاريا كمية من عناصر التطور.

وأخيرا، عندما يقترب صراع الطبقات من الساعة الحاسمة تكتسي عملية التفكك، داخل الطبقة المسيطرة وداخل المجتمع القديم، طابعا في منتهى العنف وفي منتهى القسوة بحيث تنفصل شريحة صغيرة من الطبقة المسيطرة لكي تنضم للطبقة الثورية، للطبقة التي تمسك بين يديها زمام المستقبل. ومثلما انتقل فيما مضى فريق من النبلاء إلى البرجوازية، ينتقل اليوم إلى البروليتاريا فريق من البرجوازية، خصوصا ذلك الفريق من الإيديولوجيين البرجوازيين الذين تساموا إلى حد الإدراك النظري لمجمل الحركة التاريخية.

[V. تنظيم البروليتاريا بما هي طبقة عاملة وثورة المستقبل.]

من بين جميع الطبقات الخصيمة للبرجوازية حاليا، البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة الثورية حقا. فالطبقات الأخرى تنهار وتندثر أمام الصناعة الكبيرة، أما البروليتاريا فهي، بالعكس، منتوجها الأصيل.

[1. العقبات: الطابع المحافظ للطبقات الوسطى.]

أما أعضاء الطبقات الوسطى، الصناعي الصغير، التاجر الصغير، الحرفي والفلاح فهم جميعا يحاربون البرجوازية إنقاذا لوجودهم، كطبقات وسطى، من الزوال. فالطبقات الوسطى إذن ليس ثورية بل محافظة، لا بل رجعية، لأنها تسعى لجعل عجلة التاريخ تدور الى الوراء. وهي لا تكون، عندما تكون، ثورية إلا إذا كانت قاب قوسين أو أدنى من الإنتقال إلى البروليتاريا. وهي حينذاك تدافع عن مصالحها المقبلة لا عن مصالحها الراهنة، وتترك موقعها الفكري لتنتقل إلى موقع البروليتاريا الفكري.

[ب. وهن «البروليتاريا الرثة».]

أما البروليتاريا الرثة، هذه العفونة المستسلمة لمصيرها المنحدرة من أكثر طبقات المجتمع القديم وضاعة، فهي قد تنجر إلى الحركة وراء ثورة بروليتارية؛ إلا أن ظروف حياتها تجعلها أكثر استعدادا لبيع نفسها خدمة للمناورات الرجعية.

[2. خصوصية البروليتاريا.

ليس للبروليتاري ما يفقده لأن البورجوازية جردته من كل عائلة وكل وطن.]

لقد تقوضت شروط حياة المجتمع القديم في شروط حياة البروليتاريا. فالبروليتاري لا ملكية له، وعلاقاته بزوجته وأطفاله لم تعد لها إطلاقا علاقة بعلاقات العائلة البرجوازية؛ العمل الصناعي الحديث، واسترقاق الرأسمال الحديث للعامل، سواء في إنجلترا أو فرنسا، وفي أمريكا أو في ألمانيا، جردا البروليتاري من كل طابع قومي وما القوانين والأخلاق والدين، في نظره، سوى أوهام برجوازية تتخفى وراءها مصالح برجوازية كثيرة.

[ب. ليس لديه ما ينقذ من المجتمع الحالي لأن تحرره يشترط تدمير هذا المجتمع.]

في الماضي سعت جميع الطبقات التي استولت على السلطة لتوطيد وضعها المكتسب بإخضاعها المجتمع كله للشروط التي تؤمن لها أرباحها. أما البروليتاريون فلا يستطيعون الإستيلاء على القوى الإجتماعية المنتجة إلا إذا قضوا على نمط التملك السالف الخاص بهم وقضوا بالتالي على كل نمط تملك عرف حتى يومنا هذا. لا يمتلك البروليتاريون شيئا يحافظون عليه: فعليهم إذن أن يدمروا كل أمن خاص قديم وجميع الضمانات الخاصة القديمة.

[ج. خلافا للثورات السابقة، التي قامت بها أقلية، الثورة البروليتارية من فعل الأغلبية.]

أُنجزت جميع الحركات التاريخية التي قامت حتى الآن أما من قبل أقلية وأما لحساب أقلية. أما الحركة البروليتارية فهي الحركة المستقلة التي تقوم بها الأغلبية الساحقة لمصلحة الأغلبية الساحقة. فالبروليتاريا، التي هي فئة المجتمع الراهن السفلى، لا يمكنها أن تنهض وتقف على قدميها إلا إذا نسفت كل البنية الفوقية للفئات التي تشكل المجتمع الرسمي.

[د.خلاص البروليتاريا الوحيد :الإطاحة العنيفة بسلطة البرجوازية]

رغم أن صراع البروليتاريا ليس، من حيث الجوهر، صراعا قوميا إلا أنه مع ذلك يكتسي هذا الشكل في البداية. إذ من البديهي أن على بروليتاريا كل بلد أن تتخلص أولا من برجوازيتها الخاصة.

برسمنا لمراحل تطور البروليتاريا في ملامحه الكبرى، رسمنا أيضا تاريخ الحرب الأهلية شبه الكامنة التي تقض مضجع المجتمع الراهن إلى الساعة التي تنفجر فيها هذه الحرب ثورة معلنة تطيح بها البروليتاريا عنفا بالبرجوازية لترسي أسس سيطرتها.

[هـ. باتت البرجوازية عاجزة عن تأمين عيش عبيدها.]

قد رأينا أن جميع المجتمعات السالفة قامت على التناحر بين الطبقات الظالمة والطبقات المظلومة. لكن لابد للقدرة على اضطهاد طبقة من تأمين شروط معيشة لها تمكنها، في ظل الرق، من البقاء على قيد الحياة. في أوج القنانة استطاع القن بجهوده أن يرتفع إلى مستوى عضو في كومونة، وتحت نير الحكم الإقطاعي المطلق استطاع البرجوازي الصغير أن يرتفع إلى برجوازي. أما العامل الحديث فهو، بالعكس، بدلا من أن يرتفع مع تقدم الصناعة ينخفض باستمرار أدنى فأدنى إلى ما تحت شروط حياة طبقته ذاتها. فالعامل يصبح فقيرا والإفقار ينمو بسرعة أكثر من سرعة نمو السكان والثروة. فمن الواضح إذن أن البرجوازية لم تعد قادرة على أن تظل، لوقت أطول، الطبقة السائدة على المجتمع وأن تفرض عليه شروط وجود طبقتها كقانون أعلى. فهي لم تعد قادرة على أن تحكم، لأنها عاجزة عن تأمين العيش لعبدها حتى في إطار إستعباده، لأنها مرغمة على أن تتركه ينحط إلى وضع يصبح عليها فيه أن تعيله بدلا من أن يعيلها. لم يعد المجتمع قادرا على العيش تحت سيطرة البرجوازية، وبعبارة أخرى لم يعد بقاء البرجوازية ملائما لبقاء المجتمع.

[3. انتقال : لا بقاء للبرجوازية إلا بالعمل المأجور، والحال أن العمل المأجور لا يدوم إلا بفعل غياب وحدة العمال.]

تشكل مراكمة الثروة بين أيدي الخواص، وتكوين وتنمية الرأسمال شرطين أساسيين لوجود وسيطرة الطبقة البرجوازية. ويشكل العمل المأجور شرط وجود الرأسمال.ويقوم العمل المأجور، حصرا، على مزاحمة العمال بعضهم بعضا. لكن تقدم الصناعة، الذي تشكل البرجوازية أداته الطيعة وغير الطيعة، يحل وحدة العمال الثورية الناتجة عن اتحادهم محل عزلتهم الناتجة عن تزاحمهم. وهكذا يسحب تطور الصناعة الكبرى من تحت أقدام البرجوازية البساط الذي أقامت عليه نظام إنتاجها وتملكها. إن البرجوازية تنتج، أول ما تنتج، حفاري قبرها،

فسقوطها وانتصار البروليتاريا أمران حتميان.

II- البروليتاريون والشيوعيون

[I. العلاقات العامة بين الشيوعيين والبروليتاريين.

ليس للشيوعيين مصالح غير مصالح البروليتاريا بوجه عام]

ما هو موقف الشيوعيين من البروليتاريين؟

لا يشكل الشيوعيون، في وجه الأحزاب العمالية الأخرى، حزبا متميزا وليس لهم مصالح منفصلة عن مصالح البروليتاريا كلها.

وهم لا يقدمون مبادئ خاصة يريدون صب الحركة البروليتارية في قالبها.

لا يتميز الشيوعيون عن الأحزاب البروليتارية الأخرى إلا في نقطتين: فهم، من جهة، في مختلف نضالات البروليتاريين القومية يضعون في المقدمة ويغلبون المصالح المستقلة عن القومية والمشتركة لكل البروليتاريا، وهم، من جهة أخرى، يمثلون دوما، في مختلف المراحل التي يجتازها الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا مصالح الحركة ككل.

فالشيوعيون هم إذن عمليا أحد فصائل الأحزاب العمالية العالمية الأكثر حزما، إنهم الفصيل الذي يدفع دوما إلى الأمام جميع الفصائل الأخرى، وهم نظريا يتميزون عن باقي جمهور البروليتاريا بميزة الإدراك الواضح لشروط، ولمسيرة وللأهداف العامة للحركة البروليتارية.

[2. هدف الشيوعيين: تشكيل البروليتاريا في طبقة و إطاحة البرجوازية والاستيلاء على السلطة.]

هدف الشيوعيين الفوري هو نفس هدف جميع الأحزاب البروليتارية الأخرى: تشكل البروليتاريا في طبقة، الإطاحة بسيطرة البرجوازية واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية.

[II. نظرية الشيوعيين.

طبيعتها: التعبير العام عن صراع الطبقات الراهن.]

لا تستند تصورات الشيوعيين النظرية إطلاقا على أفكار أو مبادئ اخترعها أو اكتشفها هذا أو ذاك من مصلحي العالم.

إنها ليست إلا تعبيرا عاما عن الشروط الفعلية لصراع طبقي موجود فعلا، وعن حركة تاريخية تدور أمام أعيننا. والقضاء على علاقات الملكية التي وجدت إلى يومناهذا ليست سمة مميزة الشيوعية.

[2. أساس برنامجها: الغاء علاقات الإنتاج البرجوازية.

تتبدل علاقات الإنتاج: مثال الثورة الفرنسية.]

فقد أخضعت جميع علاقات الملكية لتغيير تاريخي متواصل ولتحويل تاريخي لم ينقطع.

فالثورة الفرنسية(6) مثلا قضت على الملكية الإقطاعية لحساب الملكية البرجوازية.

[ب. الشيوعية: إلغاء الملكية البرجوازية أي الملكية الخاصة.]

ليس ما يميز الشيوعية هو القضاء على الملكية بوجه عامة، بل القضاء على الملكية البرجوازية.

غير أن الملكية الخاصة البرجوازية الحديثة هي آخر وأكمل تعبير عن نمط إنتاج وتملك المنتجات القائم على التناحر بين الطبقات وعلى استغلال الناس بعضهم لبعض.

وبهذا الصدد يستطيع الشيوعيون تلخيص نظريتهم في صيغة وحيدة: القضاء على الملكية الخاصة.

[III. ردود على الانتقادات.

1. المس بالملكية الخاصة استنزاف لمصدر كل وجود شخصي.]

وجهت لنا، نحن الشيوعيين، تهمة كوننا نريد القضاء على الملكية الخاصة المكتسبة بالجهد الشخصي والعمل الفردي، التي قيل عنها أنها أساس كل حرية شخصية، كل نشاط وكل استقلال شخصيين.

[أ. من يلغي الملكية الصناعية؟ البرجوازية.]

الملكية نتاج العمل والجهد والإستحقاق الشخصي! أتراهم يتكلمون عن ملكية البرجوازي الصغير والفلاح الصغير التي سبقت الملكية البرجوازية؟ هذه الملكية البرجوازية الصغيرة لن نحتاج إلى القضاء عليها، إذ أن تطور الصناعة قد قضى عليها وهو يقضي عليها يوما بعد يوم.

[ب. هل يخلق العمل الفردي الملكية؟ لا، إنه يخلق الرأسمال.]

أم تُراهم يتحدثون عن الملكية الخاصة البرجوازية الحديثة؟

لكن هل يخلق العمل المأجور، عمل البروليتاري أية ملكية لهذا الأخير؟ قطعا لا. إنه يخلق الرأسمال أي الملكية التي تستغل العمل المأجور، والتي لا يمكنها أن تنمو إلا إذا أنتجت عملا مأجورا جديدا لكي تستغله من جديد. تتحرك الملكية، بشكلها الراهن، بين طرفين متناقضين هما الرأسمال والعمل المأجور. فلنفحص جانبي هذا التناقض.

[ج. الوضع الحالي للملكية هو الرأسمال كقوة اجتماعية]

أن يكون الإنسان رأسماليا ذلك يعني أنه لا يحتل في الإنتاج منزلة شخصية وحسب، بل يحتل أيضا وضعا اجتماعيا. فالرأسمال منتوج جماعي ولا يمكن ان يُحرّك إلا بالنشاط المشترك لجميع أعضاء المجتمع.

فالرأسمال ليس إذن سلطة شخصية بل هو سلطة اجتماعية.

إذن عندما يتم تحويل الرأسمال إلى ملكية جماعية تخص جميع أعضاء المجتمع، لا يعني ذلك أن ملكية شخصية قد تحولت إلى ملكية اجتماعية. إن ما تحول هو فقط الطابع الإجتماعي للملكية. إنها قد فقدت طابعها الطبقي.

[د. لا يسمح العمل الحالي العامل بأي تملك شخصي.]

لننتقل إلى العمل المأجور.

متوسط سعر العمل المأجور هو الحد الأدنى للأجرة، أي كمية وسائل العيش الضرورية لبقاء العامل، كعامل، على قيد الحياة. والنتيجة أن ما يتملكه العامل المأجور بنشاطه يكفيه بالكاد لإعادة إنتاج حياته الجدباء. فنحن لا نريد مطلقا القضاء على هذا التملك الشخصي لمنتجات العمل الضروري لإعادة إنتاج الحياة المباشرة؛ لأن هذا التملك لا يترك أي ربح صاف يُخوّل سلطة ما على الغير. إن ما نريده إنما هو فقط القضاء على الطابع البائس لهذا التملك حيث لا يحيا العامل إلا لزيادة الرأسمال، ولا يحيا إلا بقدر ما تتطلب مصالح الطبقة الحاكمة أن يحيا.

ليس العمل الحي، في المجتمع البرجوازي، سوى وسيلة لزيادة العمل المتراكم. أما في المجتمع الشيوعي فما العمل المتراكم إلا وسيلة لتوسيع، وإغناء وإعلاء مجمل حياة العامل. في المجتمع البرجوازي يتحكم الماضي في الحاضر، أما في المجتمع الشيوعي فالحاضر هو الذي يتحكم في الماضي. الرأسمال، في المجتمع البرجوازي، مستقل وذو شخصية في حين أن الفرد النشيط مجرد من الإستقلال والشخصية.

[هـ. تنحصر حرية التملك في حرية التجارة]

والقضاء على هذا الوضع هو ما تسميه البرجوازية قضاء على الفردية والحرية! وهي على صواب. فالمقصود قطعا هو القضاء على شخصية واستقلال وحرية البرجوازيين.

يُقصد بالحرية، في ظل علاقات الإنتاج البرجوازية الراهن، حرية التجارة، حرية البيع والشراء.

القضاء على التجارة يستتبع القضاء على التجارة الحرة. ولا معنى إطلاقا للصيغ الجميلة المتغنية بحرية التجارة، كما لا معنى أيضا لجميع ما تبقى من تشدق

برجوازيتنا الليبرالي، إلا بالقياس إلى تجارة القرون الوسطى المقيدة وبالقياس إلى برجوازي هذه القرون المستعبَد، لا بالقياس إلى القضاء الشيوعي على التجارة وعلى علاقات الإنتاج البرجوازية وعلى البرجوازية نفسها.

ارتعبتم لأننا نريد إلغاء الملكية الخاصة. لكن الملكية الخاصة لتسعة أعشار أعضاء مجتمعكم الراهن ملغاة؛ ولأنها موجودة بالنسبة لكم، فهي لهذا بالذات معدومة بالنسبة للتسعة أعشار. أنكم تلومونا لأننا نريد القضاء على ملكية تتطلب، كشرط لابد منه لبقائها، حرمان أغلبية المجتمع الساحقة من كل ملكية.

[و. هدف الشيوعية: أن يستحيل على الرأسمال امتلاك العمل.]

وباختصار، تتهموننا بكوننا نريد إلغاء ملكيتكم أنتم. وهذا ما نريده بكل تأكيد.

وما أن يغدو متعذرا تحويل العمل إلى رأس مال وإلى نقود وإلى ريع عقاري، وباختصار إلى سلطة اجتماعية في الإمكان احتكارها، أي في اللحظة التي لا يعود فيها تحويل الملكية الشخصية إلى ملكية برجوازية ممكنا، عندئذ تعلنون بأن الفرد أُزيل.

وهكذا تعترفون بأنكم تحت اسم الفرد لا تقصدون شخصا آخر غير البرجوازي، غير المالك البرجوازي. وهذا الفرد هو بكل تأكيد ما لابد من إزالته.

الشيوعية لا تسلب أحدا القدرة على تملك منتجات اجتماعية، إن ما تسلبه هو فقط القدرة على استعباد عمل الغير عبر تملك تلك المنتجات.

لقد وُجّه إلينا اعتراض يقول: بالقضاء على الملكية الخاصة سينتهي كل نشاط وسيستفحل الكسل المعمم.

لو كان هذا الإعتراض صحيحا لكان المجتمع البرجوازي قد هلك كسلا منذ زمان طويل، إذ أن الذين يعملون فيه لا يربحون والذين يربحون لا يعملون. كل مضمون هذا الإعتراض لا يعدو الحشو القائل: لن يعود للعمل المأجور وجود مذ أن لا يعود

للرأسمال وجود.

[2 المس بالملكية الخاصة استنزاف منبع كل ثقافة.

القضاء على الملكية الخاصة، القضاء على الثقافة الطبقية.]

جميع التهم التي وُجهت إلى النمط الشيوعي لتملك وإنتاج المنتجات المادية، وجهت أيضا إلى إنتاج وتملك المنتجات الفكرية. مثلما أن نهاية الملكية الطبقية، في نظر البرجوازي، تعادل نهاية الإنتاج ذاته، فكذلك نراه يماثل بين نهاية الثقافة الطبقية ونهاية كل ثقافة. لكن هذه الثقافة التي يأسف البرجوازي على هلاكها ليست بالنسبة للكثرة الكاثرة من الناس إلا ترويضا يحولهم إلى آلة صماء.

[ب. ليست الثقافة الحالية هي الثقافة بل ثقافة طبقية.]

عبثا تماحكوننا ما دمتم تطبقون على إلغاء الملكية البرجوازية معيار مفاهيمكم البرجوازية عن الحرية، والثقافة والقانون الخ. فأفكاركم نفسها هي نتاج علاقات الإنتاج والملكية البرجوازية، مثلما أن قانونكم ليس سوى إرادة طبقتكم وقد نصبت قانونا، هذه الإرادة التي أعطتها الشروط المادية لحياة طبقتكم مضمونها.

إنكم تشاطرون جميع الطبقات التي سادت وبادت ذلك التصور المغرض الذي جعلكم تحولون علاقات إنتاجكم وملكيتكم، من علاقات تاريخية وانتقالية في مجرى تطور الإنتاج إلى قانون أبدي للطبيعة والعقل.

ما كنتم بالأمس تدركونه فيما يتعلق بالملكية القديمة، ما كنتم تدكرونه بصدد الملكية الإقطاعية، لم يعد بإمكانكم اليوم إدراكه بالنسبة للملكية البرجوازية.

[3. المس بالملكية الخاصة، تدمير للعائلة.

العائلة الحالية هي العائلة البرجوازية المبنية على الرأسمال؛ البروليتاري لا عائلة له.]

القضاء على العائلة! حتى أكثر الراديكاليين تقدما يثير سخطهم هدف الشيوعيين السافل هذا.

علامَ ترتكز العائلة الراهنة، العائلة البرجوازية؟ على الرأسمال والربح الخاص. وهي لا توجد في أوج تطورها إلا عند البرجوازية فقط. لكنها تجد تكملتها في القضاء قهرا على كل عائلة بالنسبة للبروليتاري وفي البغاء العلني.

ستضمحل العائلة البرجوازية طبعا مع اضمحلال تكملتها، وكلتاهما ستختفيان باختفاء الرأسمال.

[ب. يتمثل هدف الشيوعية في انتزاع الأطفال من سيطرة الرأسمال.]

أو تأخذون علينا أننا نريد القضاء على استغلال الآباء للأبناء؟ إننا، بهذه الجريمة نعترف.

تقولون أننا بإحلال التربية الإجتماعية محل التربية العائلية نقضي على أشد العلاقات صميمية.

لكن أليست تربيتكم أنتم أيضا محددة من المجتمع؟ من العلاقات الإجتماعية التي رُبيتم في ظلها، من التدخل المباشر وغير المباشر بواسطة المدرسة الخ؟ فالشيوعيون لم يخترعوا تأثير المجتمع على التربية، وإنما يريدون فقط تغيير طبيعته؛ وانتزاع التربية من تأثير الطبقة الحاكمة. كلما تمزقت، نتيجة للصناعة الكبيرة، جميع أواصر البروليتاري العائلية، وتحول الأطفال إلى مجرد سلع تجارية وأدوات عمل، كلما غدت الكلمات البرجوازية الجميلة عن العائلة والتربية

والعلاقات الحميمة التي تشد الآباء إلى الأبناء أكثر إثارة للتقزز.

وفي جوقة يتعالى نباح البرجوازية كلها علينا: أيها الشيوعيون إنكم تريدون إشاعة النساء!

يرى البرجوازي في زوجته مجرد آلة إنتاج. وقد سمع أن أدوات الإنتاج ستستثمر جماعيا، فاستنتج من ذلك بطبيعة الحال أن النساء سيتقاسمن مع أدوات الإنتاج مصير الإشاعة العام. ولم يخطر بباله أن المطلوب هو، تحديدا، انتشال المرأة من دورها الراهن كمجرد أداة إنتاج.

لا شيء أدعى للضحك من ذعر برجوازيتنا الأخلاقي جدا أمام ما يزعم من إشاعة الشيوعيين الرسمية للنساء. لا يحتاج الشيوعيون لإدخال إشاعة النساء إذ كانت تقريبا دائما موجودة.

ولم يكتف برجوازيونا بكون نساء البروليتاريين وبناتهم -هذا عدا البغاء الرسمي- تحت تصرفهم، بل وجدوا لذة لا مثيل لها في إغواء زوجات بعضهم البعض الشرعيات.

الزواج البرجوازي في الحقيقة هو إشاعة النساء المتزوجات. وأقصى ما يمكن أن يلام عليه الشيوعيون هو إرادتهم إحلال إشاعة رسمية ومعترف بها علنا محل إشاعة مُموهة نفاقا. ومن الواضح حتى البداهة أنه بالقضاء على نظام الإنتاج الراهن يقضى أيضا على مشاعة النساء المنحدرة منه، إي يقضى على البغاء الرسمي وغير الرسمي.

[4. المس بالملكية الخاصة، تدمير للوطن]

بالإضافة إلى جميع هذه التهم، يُتهم الشيوعيون بكونهم يريدون القضاء على الوطن والقومية.

[أ. البرجوازية نهبت الأمة: ليس للبروليتاري وطن.]

العمال لا وطن لهم. إذن لا يمكن أن يسلب منهم ما لا يملكونه. لكن حيث أن على البروليتاريا أن تستولي أولا على السلطة السياسية، ان تنصب نفسها طبقة قومية، أن تصنع هي من نفسها أمة فهي مازالت طبقة قومية، لكن ليس قطعا بالمعنى البرجوازي للكلمة.

(ب.هدف الشيوعية هو إلغاء التناحرات القومية التي تديمها البرجوازية)

نتيجة لتطور البرجوازية، لحرية التجارة، للسوق العالمية، للتماثل الذي أوجده الإنتاج الصناعي ولشروط الحياة الملائمة لذلك، أخذت الحواجز القومية والتناقضات بين الشعوب تزول أكثر فأكثر. وستصبح أكثر زوالا بظهور سلطة البروليتاريا. ويشكل نشاط البروليتاريا المشترك، على الأقل في البلدان المتمدنة، شرطا أوليا من شروط تحررها.

بقدر ما يُقضى على استغلال الإنسان للإنسان، سيقضى على استغلال أمة لأمة.

ومع زوال التناحر بين الطبقات داخل نفس الأمة يزول العداء بين الأمم.

[5. مناقشة أسس تلك الانتقادات.]

أما التهم التي سيقت للشيوعيين من مواقع دينية، فلسفية وأيديولوجية عموما، فهي لا تستحق نقاشا مفصلا.

[أ. تتغيرالأفكار تبعا للعلاقات الإجتماعية:
الأفكار السائدة في عصر ما هي أفكار الطبقة السائدة.]

وهل يحتاج الإنسان إلى ذكاء وقَّاد ليدرك أن تغيُّر أوضاع الناس، وعلاقاتهم وحياتهم الإجتماعية يغير أفكارهم، وتصرفهم، ومفاهيمهم ووعيهم؟

وهل يبرهن تاريخ الأفكار على شيء آخر سوى على أن الإنتاج الفكري يتغير بتغير الإنتاج المادي؟ إن الأفكار التي سادت عصرا ما لم تكن إلا أفكار الطبقة السائدة.

عندما يتحدث البعض عن أفكار تثور مجتمعا بكامله، فانهم لا يشيرون بذلك إلا الى واقع أن عناصر مجتمع جديد قد تكونت في صلب المجتمع القديم، والى أن تفسخ الأفكار القديمة يمشي جنبا لجنب مع تفسخ نظام الحياة القديم .

فعندما كان العالم القديم يتداعى للسقوط انتصرت المسيحية على الأديان القديمة. وفي القرن الثامن عشر عندما كانت الأفكار المسيحية تتوارى أمام أفكار التنوير، كان الإقطاع يخوض معركة موته ضد البرجوازية التي كانت آنذاك ثورية. ولم تكن فكرة حرية المعتقد، والحرية الدينية إلا إيذانا بسيطرة حرية المزاحمة في مجال المعرفة.

[ب. الفكر البرجوازي يجزم بدوام حقائق أبدية]

قد يقول قائل «بالتأكيد لقد تغيرت، في مجرى التطور التاريخي، الأفكار الدينية، والأخلاقية، والفلسفية، والسياسية، والحقوقية الخ، لكن الدين، والأخلاق، والفلسفة، والسياسة، والقانون ظلت حية وسط كل هذه التغيرات.

«وبالإضافة إلى ذلك هناك حقائق خالدة، مثل الحرية والعدالة الخ، تشترك فيها جميع الأنظمة الاجتماعية، ومع ذلك فالشيوعية تقضي على هذه الحقائق الخالدة، فهي تقضي على الدين، والأخلاق بدلا من إعطائها شكلا جديدا؛ فهي

إذن تنقض التطور التاريخي السابق كله».

[ج. ظاهر الأبدية هذا مرتبط باستمرار علاقات السيطرة السياسية، المميزة للمجتمعات الطبقية.]

ففيمَ تنحصر هذه التهمة؟ في أن تاريخ المجتمع كله ماضيا وحاضرا قد دارت رحاه تناحرا طبقية أخذ أشكالا مختلفة باختلاف الحقب. لكن مهما كان الشكل الذي اكتساه هذا التناحر، فإن استغلال فريق من المجتمع لفريق آخر كان القاسم المشترك لجميع العصور السالفة. فلا غرابة إذن في أن يكون الوعي الإجتماعي في جميع العصور قد تحرك، رغم التنوع والإختلاف الشديدين، ضمن أشكال مشتركة، ضمن أشكال وعي لا تختفي كليا إلا باختفاء التناحر الطبقي اختفاء كاملا.

[د. تحدث النظرية الشيوعية قطيعة كاملة : إذن نظرية أفكار وأفكار جديدة على نحو جذري.]

الثورة الشيوعية هي القطيعة الأشد راديكالية مع النظام التقليدي للملكية فلا عجب إذن إن هي قطعت، في مجرى تطورها، وبأكثر الطرق حسما مع الأفكار التقليدية.

[IV. أهداف الثورة الشيوعية وبرنامجها.

الهدف الأول: السلطة الديمقراطية للبروليتاريا.]

لقد رأينا فيما مر أن الخطوة الأولى للثورة العالمية هي تشكل البروليتاريا في طبقة حاكمة، وانتزاع الديموقراطية.

[2. تنظيم البروليتاريا كطبقة مسيطرة وإرساء نمط إنتاج خال من الملكية الخاصة.]

تستخدم البروليتاريا سيطرتها السياسية لتنتزع من البرجوازية شيئا فشيئا الرأسمال كله، ولتركز جميع أدوات الإنتاج بين يدي الدولة، أي البروليتاريا المنظمة في طبقة حاكمة، ولتنمي كمية القوى المنتجة بأقصى سرعة ممكنة.

في البداية لا سبيل لتحقيق ذلك بطبيعة الحال إلا بالإنتهاك الإستبدادي لحرمة حق الملكية ولعلاقات الإنتاج البرجوازية، إي بتدابير تبدو من الزاوية الإقتصادية ناقصة ومهزوزة لكن بإمكانها أن تتجاوز نفسها في مجرى الحركة، وهي تدابير لا بد منها لقلب نمط الإنتاج كله رأسا على عقب.

[3. برنامج انتقالي للبلدان المتطورة.]

ومن البديهي أن تختلف هذه التدابير تبعا لإختلاف البلدان.

غير أنه في الإمكان تطبق التدابير التالية تطبيقا عاما جدا في البلدان الأكثر تقدما:

نوع الملكية العقارية وتخصيص الريع العقاري لتغطية نفقات الدولة.

ضريبة باهظة وتصاعدية.

إلغاء حق الوراثة.

مصادرة أملاك جميع الفارين والعصاة.

تركيز القروض في يد الدولة بواسطة بنك وطني يعود رأسماله للدولة ويتمتع باحتكار كامل.

تركيز جميع وسائل النقل بيد الدولة.

مضاعفة المصانع الوطنية، وأدوات الإنتاج، وإحياء الأراضي الموات وتحسين الأراضي المزروعة حسب خطة شاملة.

العمل الإلزامي للجميع، إنشاء جيوش صناعية من أجل الزراعة خاصة.

الملائمة بين الإستثمار الزراعي والصناعي، واتخاذ التدابير الرامية لمحو الفوارق بين المدينة والريف تدريجيا.

مجانية التعليم العام لجميع الأطفال، إلغاء تشغيل الأطفال في المصانع بشكله الراهن، وتوحيد التعليم مع الإنتاج المادي الخ.

[4. الهدف النهائي: القضاء على المجتمع الطبقي.]

وما أن تختفي، في مجرى التطور، الفوارق بين الطبقات، وما أن يتجمع الإنتاج كله بين أيدي الأفراد المتشاركين، حتى تفقد السلطة العامة طابعها السياسي. إذ أن السلطة السياسية هي، بالمعنى الدقيق للكلمة، السلطة المنظمة لطبقة لقهر طبقة أخرى. فعندما توحد البروليتاريا نفسها بحكم الضرورة وخلال صراعها مع البرجوازية، في طبقة، وعندما تُنصّب نفسها، بثورة، طبقة حاكمة، وبصفتها هذه تقضي بالقوة على علاقات الإنتاج القديمة، فإنها بقضائها على هذه العلاقات، تقضي في الوقت ذاته على شروط وجود التناحر الطبقي، وعلى وجود الطبقات عامة وتقضي بالتالي على سيطرتها الطبقية هي نفسها.

على أنقاض المجتمع البرجوازي القديم بطبقاته وتناحراته الطبقية، تقوم جمعية يكون التطور الحر لكل فرد فيها شرطا لتطور جميع الأفراد الحر.

III- الأدب الإشتراكي والشيوعي

الإشتراكية الرجعية

أ- الإشتراكية الإقطاعية

وجدت الأرستقراطية الفرنسية نفسها محكوما عليها، بحكم وضعها التاريخي

ذاته، بأن تهجو المجتمع البرجوازي الحديث. فأمام هذا الوصولي الكريه خسرت مرة أخرى معركتها في ثورة 1830 الفرنسية وفي الحركة الإصلاحية الإنجليزية(7)، وبما أن النضال السياسي الجدي لم يعد، بالنسبة إليها، واردا، فلم يبق أمامها غير ميدان المعركة الأدبية. وحتى في ميدان الأدب كان إنشاء عهد الردة الملكية [15] قد غدا مستحيلا. كان على الأرستقراطية، لكي تحرك مشاعر التعاطف معها، أن تتخلى ظاهريا عن مصالحها الخاصة، وأن تصوغ قرار اتهامها للبرجوازية دفاعا عن مصالح الطبقة العاملة المستغَلة فقط. وهكذا وفرت لنفسها لذة إنشاد هجاء سيدها الجديد في أغان مقذعة، ولذة الهمس في أذنيه بنبوءات مفعمة إلى حد قليل أو كثير بالتشاؤم.

وعلى هذا النحو ولدت الإشتراكية الإقطاعية، نصفا أغنية حزينة ونصفا هجاء ساخرا، نصفا صدى الماضي ونصفا وعيد المستقبل، وإذا كانت أحيانا تصيب بنقدها المر، الذكي واللاذع البرجوازية في الصميم، فقد كانت دائما تترك تأثيرا مضحكا لعجزها الكامل عن فهم مسيرة التاريخ الحديث. ولكي يجتذب هؤلاء الأرستقراطيون الشعب إليهم لوحوا بخرج المتسولين البروليتاريين راية لهم، لكن ما أن مشى الشعب وراءهم حتى لمح شارات الإقطاعية العتيقة مرسومة على مؤخرتهم، فتولى عنهم وقهقهة السخرية على شفتيه.

وقد مثل هذا المشهد المرح فريق من الشرعيين الفرنسيين(8) وإنجلترا الفتاة(9). عندما يبرهن الإقطاعيون على أن نمط استغلالهم لم يكن يشبه الإستغلال البرجوازي، فإنهم ينسون فقط أن استغلالهم كان يحدث ضمن شروط وظروف مختلفة كليا، غدت اليوم بالية. وعندما يبرهنون أن البروليتاريا الحديثة لم تكن موجودة في ظل نظامهم، فإنهم ينسون فقط أن البرجوازية الحديثة كانت بالضبط الوليد الضروري لنظامهم الإجتماعي. ومع ذلك فهم لا يكادون يخفون الطابع الرجعي لنقدهم، إذ أن الجريمة التي يوجهون، للبرجوازية، تهمة اقترافها لا يعدو القول بأنها تسببت، بنظامها، في نمو طبقة ستنسف نسفا النظام الإجتماعي القديم كله.

والأنكى من ذلك أنهم لا يؤاخذون البرجوازية لأنها أنجبت البروليتاريا بشكل

عام، بقدر ما يؤاخذونها لأنها أنجبت البروليتاريا الثورية.

لهذا السبب تراهم، في الممارسة السياسية، يشتركون في جميع التدابير التعسفية ضد الطبقة العاملة، وتراهم في حياتهم اليومية ينحنون، رغم إنشائهم المتقعر، لإلتقاط التفاح الذهبي [الذي يتساقط من شجرة الصناعة] ويقايضون الوفاء، والحب والشرف بالتجارة، والصوف، والشمندر وماء الحياة [16].

مثلما كان الكاهن والإقطاعي يسيران دائما متعاضدين، فكذلك سارت دائما الإشتراكية الكهنوتية والإشتراكية الإقطاعية متكاتفتين.

لاشيء أسهل من إضفاء مسحة اشتراكية على التقشف المسيحي. ألم ترفع المسيحية، هي الأخرى، صوتها احتجاجا على الملكية الخاصة، على الزواج وعلى الدولة؟ ألم تبشر، بدلا منها، بالصدقة، والإستجداء، والعزوبة، وقتل الجسد، وحياة الترهب والكنسية؟ ليست الإشتراكية المقدسة سوى الماء المقدس الذي يبارك به الكاهن حقد الأرستقراطي.

ب. الإشتراكية البرجوازية الصغيرة

ليست الأرستقراطية الإقطاعية الطبقة الوحيدة التي طرحتها البرجوازية أرضا، ولا الوحيدة التي ذوت شروط حياتها وساءت في المجتمع البرجوازي الحديث. فالبرجوازية الصغيرة وطبقة الفلاحين الصغار كانتا في العصور الوسطى رائدتي البرجوازية الحديثة. وما زالت هذه الطبقة، في البلدان المتخلفة تجاريا وصناعيا، تحيا، إلى جنب البرجوازية الصاعدة، حياة هامشية.

تكونت، في البلدان التي تطورت فيها المدينة الحديثة، برجوازية صغيرة جديدة تتذبذب بين البروليتاريا والبرجوازية، وهي، كجزء مكمل للمجتمع البرجوازي، لا تفتأ تعيد تشكيل نفسها دون انقطاع، لكن أعضاءها ينحدرون باستمرار، بسبب المزاحمة، إلى صفوف البروليتاريا، بل إنهم، بفضل تطور الصناعة الكبيرة، يرون اقتراب ساعة اختفائهم الكامل بوصفهم شريحة مستقلة من المجتمع الحديث، وسيحل محلهم، في الصناعة والتجارة والمانيفاتورة والزراعة، ملاحظو العمل والخدم.

من الطبيعي في بلد مثل فرنسا حيث يشكل الفلاحون أكثر من نصف السكان، أن يطبق بعض الكتاب، الذين يناصرون البروليتاريا ضد البرجوازية، على نقدهم معايير برجوازية صغيرة وفلاحية، وأن ينحازوا إلى العمال إنطلاقا من وجهة نظر البرجوازية الصغيرة.على هذا النحو تكونت الاشتراكية البرجوازية الصغيرة. وسيسموندي هو زعيم هذا الأدب في كل من فرنسا وإنجلترا.

حللت هذه الإشتراكية تحليلا ألمعيا التناقضات الملازمة لعلاقات الإنتاج الحديثة. وعرت تبريرات الإقتصاديين المنافقة. وبرهنت برهانا دامغا على النتائج القاتلة للآلية، وتقسيم العمل، ولمركزة كل من الرأسمال والملكية العقارية، ولفائض الإنتاج، وللأزمات، ولإندثار البرجوازيين الصغار والفلاحين الصغار المحتوم، ولبؤس البروليتاريا، ولفوضى الإنتاج، وللتفاوت الصارخ في توزيع الثروة، ولحرب الإبادة الصناعية بين الأمم، ولتفسخ العادات القديمة، والروابط العائلية القديمة، والقوميات القديمة.

هذه الإشتراكية، بمضمونها العملي، أما أنها تريد إعادة وسائل الإنتاج والتبادل القديمة ومعها نظام الملكية القديم والمجتمع القديم برمته، وأما أنها تريد أن تدخل قهرا وسائل الإنتاج والتبادل الحديثة في إطار نظام الملكية القديم الضيق الذي حطمته والذي لم يكن من تحطيمه بد. وفي كلتا الحالتين فهي رجعية وطوباوية في وقت واحد.

إعادة نظام المهن إلى المانيفاتورة، وإعادة النظام البطريقي إلى الزراعة، تلك هي كلمتها الأخيرة.

وقد إنتهى هذا الإتجاه، في آخر مراحل تطوره، إلى ذلك الصداع الحقير الذي يعقب نشوة السكر.

ج.الإشتراكية الألمانية أو الإشتراكية «الصحيحة»

أُدخل الأدب الإشتراكي والشيوعي الفرنسي، -الذي وُلد تحت ضغط برجوازية مسيطرة تعبيرا أدبيا عن النضال ضد هذه السيطرة-، إلى ألمانيا في حقبة كانت فيها البرجوازية قد شرعت أو كادت في النضال ضد الحكم الإقطاعي المطلق.

إلتهم الفلاسفة، وأشباه الفلاسفة والأدباء الألمان هذا الأدب بشراهة، ونسوا فقط أن هجرة هذا الأدب من فرنسا إلى ألمانيا لم تتزامن مع هجرة شروط الحياة الفرنسية إليها. وهكذا فقد هذا الأدب الفرنسي، عندما لامس شروط الحياة الألمانية، كل مدلول عملي فوري واتخذ مظهرا أدبيا محضا. ولابد والحالة تلك أن يبدو كتأمل عقيم للمجتمع الفعلي، ولتحقيق الجوهر الإنساني. وهكذا لم تكن مطالب الثورة الفرنسية الأولى، في نظر فلاسفة القرن 18 الألمان، سوى «العقل العملي» بصورة عامة. أما التدابير التي إتخذتها البرجوازية الفرنسيةالثورية تعبيرا عن إرادتها فلمتكن في تقديرهم سوى قوانين الإرادة الخالصة، الإرادة كما ينبغي لها أن تكون، الإرادة الإنسانية الصحيحة.

العمل الفريد الذي أنجزه الأدباء الألمان إقتصر على جعل الأفكار الفرنسية الجديدة متفقة مع وعيهم الفلسفي القديم، أو بالأحرى إقتصر على انتحال الأفكار الفرنسية دونما تخل عن أفكارهم الفلسفية الخاصة.

لقد تمثلوا هذه الأفكار كما يتمثل المرء عادة لغة أجنبية بالترجمة إلى لغته الأم.

نعرف كيف كان الرهبان يحشون الآثار الكلاسيكية الوثنية بحكايا مقدسة كاثوليكية سخيفة. أما الأدباء الألمان فقد تصرفوا حيال الأدب الدنيوي الفرنسي بطريقة معاكسة حيث كتبوا سخفهم الفلسفي على ظهر الأصل الفرنسي. فعلى ظهر النقد الفرنسي للعلاقات النقدية كتبوا مثلا: «إغتراب الجوهر الإنساني»، وعلى ظهر النقد الفرنسي للدولة البرجوازية كتبوا: «القضاء على سيطرة الشمول المجرد»، الخ.

لقد أحلوا إنشاءهم الفلسفي محل التطور الفرنسي وعمدوه باسم «فلسفة العقل»، و»الإشتراكية الصحيحة»، و»علم الإشتراكية الألماني»، و»تبرير الإشتراكية الفلسفي».

وبهذه الطريقة خصَوا الأدب الفرنسي الإشتراكي والشيوعي خصيا. لأن هذا الأدب كف، في أيدي الألمان، عن كونه تعبيرا عن صراع طبقة ضد أخرى، فقد ظن الألمان أنهم تجاوزوا «قصر النظر الفرنسي»، فراحوا، بدلا من الدفاع عن

الحاجات الحقيقية، يدافعون عن حاجة الحقيقة، وبدلا من الدفاع عن مصالح البروليتاري، راحوا يدافعون عن مصالح الكائن الإنساني، عن الإنسان العام، عن الإنسان الذي لا ينتمي إلى أية طبقة، ولا إلى دنيا الواقع بل ينتمي فقط إلى سماء الخيال الفلسفي الضبابية.

هذه الإشتراكية الألمانية التي أخذت تمارينها، الشبيهة بتمارين تلميذ غشيم، مأخذ الجد والوقار البالغين وروجتها بدجل لا حد له، فقدت شيئا فشيئا براءتها الدعية.

لقد غدا نضال البرجوازية الألمانية، وتحديدا البرجوازية البروسية، ضد الإقطاعيين والملكية المطلقة، وباختصار نضال الحركة الليبرالية، جديا.

وهكذا وجدت الإشتراكية «الصحيحة» الفرصة التي طالما تمنتها لتواجه الحركة السياسية بالمطالب الإشتراكية، ولتستنزل اللعنات التقليدية على الليبرالية وعلى الدولة النيابية، وعلى المزاحمة البرجوازية، وعلى حرية الصحافة البرجوازية، وعلى القانون البرجوازي، وعلى الحرية والمساواة البرجوازيتين، ولتبشر الجماهير الشعبية بأنها لن تكسب شيئا من هذه الحركة البرجوازية بل أنها، بالعكس، ستخسر فيها كل شيء. وبالمناسبة، تناست الإشتراكية الألمانية أن النقد الفرنسي الذي كانت صداه السخيف يفترض سلفا ظهور المجتمع البرجوازي الحديث مع شروط الحياة المادية الملائمة له ومع الدستور السياسي المناسب، وهي أمور ما زال من المطلوب تحقيقها في ألمانيا.

قدمت هذه الإشتراكية للحكومات الألمانية المطلقة، ولحاشيتها من الكهنة، ومعلمي المدارس، المالكين العقاريين والبيروقراطيين، فزاعة منشودة ضد البرجوازية التي كشرت عن أنيابها.

شكلت هذه الإشتراكية التكملة الحلوة لمرارة أصوات السياط وطلقات الرصاص التي واجهت بها هذه الحكومات الانتفاضات العمالية.

إذا كانت الإشتراكية «الصحيحة» قد غدت على هذا النحو سلاحا بيد الحكومات ضد البرجوازية الألمانية، فقد مثلت، إضافة إلى ذلك، مصلحة رجعية، مصلحة

البرجوازية الصغيرة الألمانية، فقد مثلت، إضافة إلى ذلك، مصلحة رجعية، مصلحة البرجوازية الصغيرة الألمانية. وفي ألمانيا، تشكل البرجوازية الصغيرة - الموروثة عن القرن السادس عشر والتي ما أنفكت مذ ذاك تظهر بأشكال شتى- قاعدة الوضع القائم الإجتماعية.

فالحفاظ إذن على هذه البرجوازية الصغيرة يعني الحفاظ على الوضع الألماني الراهن. وهي تخشى أن يُنزل بها تفوق البرجوازية الصناعي والسياسي دمارا أكيدا، نتيجة لمركزة الرأسمال من جهة، ولظهور بروليتاريا ثورية من جهة أخرى. لقد ظنت الإشتراكية «الصحيحة» أن في إمكانها أن تصيب عصفورين بحجر واحد، فانتشرت كالوباء.

ولم يكن هذا الثوب الأثيري الفضفاض، المنسوج من خيوط عنكبوت التجديد، والمهدب بأزهى زهور البلاغة، والمبلل بندى عاطفي مشبوب ويستعر حبا، الذي أسبغه الإشتراكيون الألمان على جسد بعض «حقائقهم الخالدة» الضامر، إلا ليزيد بضاعتهم لدى مثل هذا الجمهور رواجا.

وأكثر فأكثر تعترف الإشتراكية الألمانية من جهتها بأن مهنتها لا تزيد عن كونها الممثل الداعي لهذه البرجوازية الصغيرة.

فقد أعلنت بأن الأمة الألمانية هي الأمة السوية وأن البرجوازية الصغيرة هو الإنسان السوي. وعزت لكل واحدة من حقاراته مغزى اشتراكيا باطنيا رفيعا يجعلها تدل على نقيضها. وبلغت منتهى منطقها باحتجاجها المباشر على الإتجاه الشيوعي «الشرس الهدم»، وبإعلانها أنها تحلق بتجرد فوق جميع أشكال الصراع الطبقي. وجميع الكتابات الإشتراكية والشيوعية زعما المتداولة في ألمانيا تنتمي، باستثناء النادر القليل، إلى هذا الأدب القذر والمثير للأعصاب.

الإشتراكية المحافظة أو البرجوازية

يرغب فريق من البرجوازيين في علاج المفاسد الإجتماعية تأمينا لإستقرار المجتمع البرجوازي.

ينتمي إلى هذا الفريق: الإقتصاديون، المحسنون، الإنسانيون وجميع الذين يهمهم إصلاح وضع الطبقة العاملة، وتنظيم جمعيات مكافحة الكحول، وباختصار كل من هب ودب من المصلحين المستترين. بل لقد وصل هذا الفريق إلى بلورة هذه الإشتراكية البرجوازية في مذاهب كاملة.

ونضرب فلسفة البؤس لبرودون مثلا على هذه الإشتراكية.

يريد الإشتراكيون البرجوازيون شروط حياة المجتمع الحديث لكنهم لا يريدون ألوان الصراع والأخطار الناجمة عنها بالضرورة. أنهم يريدون المجتمع الراهن بعد حذف العناصر التي تثوره وتحله. إنهم يريدون البرجوازية بدون البروليتاريا وتتوهم البرجوازية بالطبع أنه ليس في الإمكان إبداع من عالم لها فيه اليد الطولى. ومن هذا التصور المعزي تصنع الإشتراكية البرجوازية نصف مذهب أو مذهبا كاملا. وعندما تدعو الإشتراكية البرجوازية البروليتاريا إلى تحقيق مذاهبها للدخول إلى جنات عدن، فإنما تدعوها فقط إلى البقاء حيث هي في المجتمع الراهن، لكن مع التخلي عن الفكرة الحاقدة التي كونتها عنه.

يحاول شكل آخر من هذه الإشتراكية، مذهبيا أقل بلورة ولكنه عملي أكثر، أن ينفر الطبقة العاملة من كل حركة ثورية موقعا في روعها أن ما يعود عليها بالفائدة ليس هذا التغيير السياسي أو ذاك وإنما هو فقط تغيير شروط الحياة المادية، تغيير العلاقات الإقتصادية. لكن هذه الإشتراكية لا ترمي قطعا، من وراء تغيير شروط الحياة المادية، إلى القضاء على علاقات الإنتاج البرجوازية، وهو أمر لا سبيل إليه إلا بالثورة، بل تستهدف فقط تحقيق إصلاحات إدارية في إطار علاقات الإنتاج البرجوازية، فهي إذن لن تغير إطلاقا علاقة الرأسمال بالعمل المأجور، وإنما تقلل، في أحسن الأحوال، نفقات السيطرة البرجوازية وتخفيف ميزانية الدولة.

لا تبلغ الإشتراكية البرجوازية تعبيرها الأمثل إلا حيث تغدو مجرد مجازات بلاغية.

حرية التجارة! لمصلحة الطبقة العاملة! الحماية الجمركية! لمصلحة الطبقة العاملة! السجون الإنفرادية! لمصلحة الطبقة العاملة! هاهي اذن كلمة الإشتراكية البرجوازية الأخيرة، وهي الكلمة الجدية الوحيدة.

الإشتراكية والشيوعية النقديتان الطوباويتان

لا نتحدث عن الأدب الذي صاغ، في جميع الثورات الكبرى الحديثة، مطالب البروليتاريا (كتابات بابوف الخ).

في عصر يغلي ثورة، وفي حقبة كانت الإطاحة فيها بالمجتمع الإقطاعي تجري على قدم وساق، فشلت أولى محاولات البروليتاريا لتغليب مصالحها الطبقية مباشرة فشلا محتوما نظرا لجنينية البروليتاريا نفسها ونظرا أيضا لفقدان شروط تحررها المادية، التي هي تحديدا نتاج الحقبة البرجوازية. وكان الأدب الثوري الذي واكب أولى حركات البروليتاريا رجعي المضمون. إذ نادى بتعميم التقشف والمساواة الفظة.

ظهرت المذاهب الإشتراكية حقا، مذاهب سان سيمون وفوريه ووين في الطور الجنيني الأول من الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا الذي استعرضناه آنفا (أنظر: البرجوازيون والبروليتاريون).

حقا استشف مخترعو هذه المذاهب التناحر الطبقي مثلما استشفوا فعل العناصر الهدامة في صلب المجتمع السائد ذاته. لكنهم لم يستشفوا في البروليتاريا أي عفوية تاريخية ولا أية حركة سياسية خاصة بها. وبما أن تطور التناحر الطبقي يمشي بخطى تطور الصناعة، فإنهم لم يعثروا أيضا على الشروط المادية لتحرر البروليتاريا فراحوا يبحثون عن علم إجتماعي، عن قوانين إجتماعية كيما يخلقوا هذه الشروط خلقا.

لابد أن يستعاض عن النشاط الإجتماعي بنشاطهم الإبداعي وبدلا من الشروط التاريخية للتحرر وضعوا شروطا من صنع خيالهم، وبدلا من التنظيم التدريجي والعفوي للبروليتاريا في طبقة وضعوا تنظيما إجتماعيا تخيلوه خصيصا لهذا الغرض. وبنظرهم يجد تاريخ العالم المقبل حله السعيد في الدعاية لتصاميم المجتمع التي رسموها وفي وضعها موضع التطبيق.

لقد كانوا، والحق يقال، واعين بأنهم، بتصاميمهم، يدافعون أساسا عن مصالح

الطبقة العاملة باعتبارها أكثر الطبقات ألما. ولا توجد البروليتاريا في نظرهم إلا في صورة كونها أكثر الطبقات ألما.

الشكل الجنيني للصراع الطبقي مضافا إلى وضعهم الإجتماعي الخاص دفعهم إلى الإعتقاد بأنهم فوق التناحر الطبقي. فهم يريدون إصلاح أوضاع جميع أعضاء المجتمع بما في ذلك أكثرهم يسرا. لذلك ظلوا يواجهون دون إنقطاع نداءاتهم للمجتمع بأسره دون تمييز، لا بل أنهم فضلوا التوجه بالنداء للطبقات الحاكمة. فحسب المرء أن يفهم مذهبهم لكي يعترف فورا بأنه أبدع تصميم ممكن لأبدع مجتمع ممكن. فهم إذن يرفضون كل نشاط سياسي وخاصة كل نشاط ثوري، ويريدون نيل هدفهم بطرق سلمية ويحاولون أن يشقوا الطريق للإنجيل الإجتماعي الجديد بالقدوة الحسنة وبتجارب صغيرة مآلها الفشل طبعا. من ذلك الطموح السليقي الأول الذي يدفع البروليتاريا إلى تحويل المجتمع تحويلا شاملا ولدت هذه الصورة الخيالية للمجتمع المقبل في حقبة كانت البروليتاريا فيها مازالت جنينا واهنا وكانت بالتالي تكون عن وضعها ذاته فكرة خيالية. غير أن هذه الكتابات الإشتراكية والشيوعية اشتملت أيضا على عناصر نقدية. فقد هاجمت جميع ركائز المجتمع القائم. ولهذا بالذات قدمت مواد ثمينة لتنوير العمال. فاقتراحاتهم الإيجابية فيما يخص المجتمع المقبل كالقضاء على التعارض بين المدينة والريف، والقضاء على العائلة وعلى الربح الخاص، وعلى العمل المأجور، والمناداة بالإنسجام الإجتماعي وبتحويل الدولة إلى مجرد إدارة للإنتاج - لم تكن جميع هذه المقترحات إلا تعبيرا عن القضاء على التناحر الطبقي الذي بدأ بالكاد ينمو والذي لم يعرفوا الا موجته الأولى ولمَّا تتشكل بعد. وهكذا اكتسبت هذه المقترحات معنى طوباويا صرفا.

تتناسب أهمية الإشتراكية والشيوعية النقديتان الطوباويتان عكسا مع التطور التاريخي. فكلما نما الصراع الطبقي واتضحت ملامحه فقد التعالي الخيالي عليه والنضال الخيالي ضده كل قيمة وكل مدلول نظري. وإذا كان مؤلفو هذه المذاهب لأكثر من اعتبار ثوريين، فإن تلامذتهم يؤلفون بانتظام شيعا رجعية. فهم يتمسكون بمفاهيم شيوخهم القديمة لمعارضة تطور البروليتاريا التاريخي. وانسجاما مع أنفسهم يبذلون قصارى جهدهم ليضعفوا مجددا الصراع الطبقي وليقيموا بين الأضداد صلحا. وما زالوا دوما يحلمون بأن يحققوا، على سبيل التجربة، طوباويتهم

الإجتماعية -إقامة الفالانستيرات المعزولة، وإنشاء المستعمرات الداخلية، وإقامة ايكاريا [17] صغيرة طبعة مصغرة من جنات عدن، وفي سبيل بناء هذه القصور على الرمال لم يجدوا بدا من الإستنجاد بإحسان وجيوب وقلوب البرجوازيين وشيئا فشيئا إنزلقوا إلى زمرة الإشتراكيين الرجعيين أو المحافظين الذين سبق ذكرهم. ولم يعد لهم ما يميزهم عنهم إلا حذلقة علمية أكثر منهجية وإيمان خرافي متعصب بالمفعول العجائبي لعمهم الإجتماعي.

ولذا تراهم يعارضون بشراسة كل حركة سياسية عمالية لا يمكن أن تصدر، في نظرهم، إلا عن كفر أعمى بالإنجيل الجديد.

يناضل الأونيون في إنجلترا وأنصار فوريه في فرنسا، أولئك ضد الشارطيين(10) وهؤلاء ضد الإصلاحيين(11).

4) موقف الشيوعيين من مختلف أحزاب المعارضة

ما قلناه في الباب الثاني يوضح موقف الشيوعيين من الأحزاب العمالية الموجودة ويوضح من ثم موقفهم من الشارطيين في إنجلترا وأنصار الإصلاح الزراعي في أمريكا الشمالية.

فهم يناضلون لنيل أهداف الطبقة العاملة ومصالحها المباشرة لكنهم، وهم في الحركة الراهنة، يدافعون في الوقت نفسه عن مستقبل الحركة. ففي فرنسا يحالف الشيوعيون الحزب الإشتراكي-الديموقراطي [18] ضد البرجوازية المحافظة والراديكالية مع احتفاظهم بحق نقد الجمل والأوهام الموروثة عن التقاليد الثورية.

وفي سويسرا يساندون الراديكاليين دون نسيان أن هذا الحزب مزيج من عناصر متناقضة ، فريق منها اشتراكي بالمعنى الفرنسي للكلمة وفريق آخر راديكالي برجوازي. وفي بولندا يساند الشيوعيون الحزب الذي يجعل من الثورة الزراعية شرطا للتحرر القومي، أي الحزب الذي خاض في 1846 إنتفاضة كراكوفيا(12).

وفي ألمانيا، ما أن تدخل البرجوازية مع الحكم الملكي المطلق والملكية العقارية الإقطاعية والبرجوازية الصغيرة في نضال ثوري، حتى تجد الحزب الشيوعي واقفا إلى جانبها. لكنه لا يتقاعس ولو للحظة عن أن يوقظ لدى العمال وعيا واضحا إلى أقصى حدود الوضوح بالتناقض العدائي الموجود بين البرجوازية والبروليتاريا كيما يستطيع العمال الألمان أن يديروا فورا إلى نحر البرجوازية، كأسلحة عديدة، الشروط الإجتماعية والسياسية التي عليها أن تدخلها في نفس الوقت مع سيطرتها، لكي يتسنى، بعد سقوط الطبقات الرجعية، الشروع فورا في النضال ضد البرجوازية نفسها.

يركز الشيوعيون اهتماما خاصا على ألمانيا، لأنها أصبحت عشية ثورة برجوازية، ولأنها ستنجز هذه الثورة في وقت غدت فيه شروط الحضارة الأوروبية عموما أكثر تقدما والبروليتاريا أكثر تطورا منها في إنجلترا القرن 17 وفرنسا القرن 18، ولذا لا يمكن للثورة البرجوازية الألمانية إلا أن تكون تمهيدا فوريا لثورة البروليتاريا.

وباختصار يدعم الشيوعيون في كل مكان كل حركة ثورية تناضل ضد النظام الإجتماعي والسياسي القائم.

وفي جميع هذه الحركات يجعلون من مسألة الملكية [اقرأ: إلغاء الملكية .م.]، بقطع النظر عن درجة التطور التي بلغتها، المسألة الأساسية للحركة.

يزدري الشيوعيون إخفاء أفكارهم وأهدافهم. وينادون علانية بأن لا سبيل لنيل أهدافهم إلا عبر تدمير النظام القائم تدميرا عنيفا. فلترتعد فرائص الطبقات الحاكمة أمام الثورة الشيوعية، فلن يخسر البروليتاريون فيها سوى أغلالهم. وسيكسبون عالما.

أيها العمال في جميع البلدان إتحدوا!

المناضلة
Almounadil-a
جريدة عمالية-نسوية-شبيبية-أممية(Morocco)
تحرر الكادحين من صنع الكادحين أنفسهم

إعداد إلكتروني : جريدة المناضل=ة
www.almounadila.info

الهوامش

1."بيان الحزب الشيوعي»، أول وثيقة برنامجية للشيوعية العلمية تتضمن عرضا كاملا ومتناسقا عن أسس تعاليم ماركس وانجلز العظيمة. « إن هذا الكتاب يعرض بوضوح ودقة عبقريتين المفهوم الجديد للعالم. «يعرض المادية المتماسكة التي تشمل أيضا ميدان الحياة الإجتماعية، والدياليكتيك بوصفه العلم الأوسع والأعمق للتطور، ونظرية النضال الطبقي والدور الثوري الذي تضطلع به في التاريخ العالمي البروليتاريا، خالقة المجتمع الجديد، المجتمع السيوعي». (لينين).

سلح «بيان الحزب الشيوعي» البروليتاريا ببرهان علمي على حتمية افلاس الرأسمالية وانتصار الثورة البروليتارية، وحدد مهام وأهداف الحركة البروليتارية الثورية.-ص

2. رابطة الشيوعيين، أول منظمة شيوعية عالمية للبروليتاريا. أنشأها ماركس وإنجلز. دامت من 1848 إلى 1852. راجع مقال إنجلز «مساهمة في تاريخ رابطة الشيوعيين».ص

3.كومونة باريس ، حكومة ثورية للطبقة العاملة، دامت من 28 مارس إلى 28 مايو 1871. بمعنى الكلمة الواسع. يسمون كذلك بكومونة باريس الثورة البروليتارية بالذات التي نشبت في 18 مارس 1871 ومرحلة ديكتاتورية البروليتاريا التي تلتها. ويتناول مؤلف «الحرب الأهلية في فرنسا» تاريخ كومونة باريس ويكشف جوهرها بالتفصيل. ص

4.الحروب الصليبية، حركة استعمارية حربية باتجاه بلدان الشرق قام بها كبار الإقطاعيين والفرسان من أوروبا الغربية، والمدن الإيطالية التجارية في القرن الحادي عشر والثاني عشر والثامن عشر، تحت راية الدين لأجل تحرير المقدسات المسيحية في القدس وسائر «الأماكن المقدسة» من حكم المسلمين. كانت الكنيسة الكاثوليكية والكرسي البابوي الساعي إلى السيطر العالمية إيديولوجي وملهي

الحروب الصليبية، وكانت الفرسان قوتها العسكرية الرئيسية. كذلك اشتراك الفلاحون والحملات، سعيا وراء الخلاص من الإضطهاد الإقطاعيين. اقترنت هذه الحملات بأعمال النهب والعنف سواء حيال المسلمين أم حيال السكان المسيحيين في البلدان التي مر بها الصليبيون. ولم تقتصر مطامع الصليبيين الفتوحية على الدول الإسلامية في سوريا وفلسطين ومصر وتونس، بل شملت أيضا الإمبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية. ولكن فتوحات الصليبيين في القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط لم تكن وطيدة، وسرعان ما عادت الأراضي التي استولوا عليها إلى المسلمين. -ص

5.عوضا عن مفهومي «قيمة العمل» و«ثمن العمل»، استعمل ماركس وإنجلز، في المؤلفات اللاحقة، مفهومين أدق أدخلهما ماركس وهما «قيمة قوة العمل» و«ثمن قوة العمل» (راجع في هذا الصدد مقدمة إنجلز لمؤلف ماركس «العمل المأجور والرأسمال»، ص

6. المقصود هنا الثورة البرجوازية الفرنسية في القرن 18. ص

7. المقصود هنا الحركة من أجل إصلاح قانون الإنتخابات، الذي أقره مجلس العموم البريطاني عام 1831 تحت ضغط الجماهير الشعبية والذي صادق عليه مجلس اللوردات بصورة نهائية في يونيو 1832 وكان الإصلاح موجها ضد الاحتكار السياسي للأرستقراطية العقارية والمالية، وأفسح الطريق لوصول ممثلي البرجوازية الصناعية إلى البرلمان. أما البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة اللتان كانتا القوة الرئيسية في النضال من أجل الإصلاح فقد خدعتهما البرجوازية الليبرالية ولم تحصلا عن الحقوق الإنتخابية.-ص

8. الليجيتيميون (الشرعيون)، أنصار سلالة بوربون التي أسقطت عام 1830 وكانت تمثل مصالح الملكية العقارية الكبيرة الوراثية. وفي الصراع ضد آل أورليون الحاكم (1830-1848) والمعتمد على الأرستقراطية المالية والبرجوازية الكبيرة، لجأ قسم من الشرعيين في أحيان كثيرة إلى الديماغوجية الإجتماعية مصورين أنفسهم مدافعين عن الشغيلة دون المستثمرين البرجوازيين. -ص

9. «إنجلترا الفتاة»، فريق من السياسيين والأدباء الإنجليز في حزب التوري . تشكل في بداية الأربعينات من القرن 19. عن تعبير استياء الأرستوقراطية العقارية من تعاظم جبروت البرجوازية الإقتصادي والسياسي، لجأت «إنجلترا الفاة» إلى الأساليب الديماغوجية لكي تضع الطبقة العاملة تحت نفوذها وتستغلها في نضالهم ضد البرجوازية. -ص

10. الشارطية (من الكلمة الإنجليزية «ميثاق، شرعة») حركة سياسية قام بها عمال بريطانيا العظمى بين الثلاثينات أواسط الخمسينات من القرن التاسع عشر بسبب وضعهم الإقتصادي المرهق وحرمانهم من الحقوق السياسية. جرت هذه الحركة تحت شعار النضال من أجل تطبيق ميثاق شعبي يتضمن مطلب حق الانتخاب العام وعددا من الشروط التي تؤمن هذا الحق للعمال. كانت الشارطية،حسب تعريف لينين، «أول حركة واسعة، جماهيرية فعلا، منظمة سياسيا، وثورية بالروح البروليتارية». -ص

11.»الإصلاح» جريدة يومية فرنسية، صدرت في باريس من 1843 إلى 1850. -ص

12. في فبراير 1846، جرت الإستعدادات لإنتفاضة في الأراضي البولونية تستهدف تحرير بولونيا الوطني. كان الديموقراطيون الثوريون البولونيون (دمبوفسكي وغيره) المبادرين الرئيسيين إلى الإنتفاظة. ولكن الانتفاضة العامة أحبطت ولم تقم غير بعض الأعمال الثورية، وذلك من جراء خيانة العناصر الإقطاعية واعتقال البوليس البروسي لقادة الإنتفاظة. فقط في كراكوفيا، الخاضعة منذ 1815 لمراقبة من جانب النمسا وروسيا وبروسيا، استطاع الثوار أن يحرصوا انتصارا في 22 فبراير و أن يؤلوا حكومة وطنية أصدرت بيانا بإلغاء الأتاوات والفرائض الإقطاعية. في أوائل مارس 1848، تم قمع الإنتفاضة في كراكوفيا. وفي نوفمبر 1848، وقعت النمسا وبروسيا وروسيا معاهدة بضم كراكوفيا إلى الإمبراطورية النمساوية..-ص